
طاير يا هوا

اســـــم الكتـــــاب: طـــــــاير يـــــــا هـــــــوا

التــأليــــــــــــف: منـــــــــة الله رأفـــــــــت

نـــــوع العمــــــل: روايـــــــــــــــــــــــة

تــدقيق وإخــراج فنــي: سالم عبد المعـز سـواح (عمـرو سـواح)

رقـــــم الإيـــــداع: 30443 / 2021

الترقـــيم الـــــدولي: 2-283-835-977-978

النــــــــــــاشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر





Facebook دار زحمة كتاب للنشر

Email za7ma-kotab@gmail.com

Tel 002 01205100596

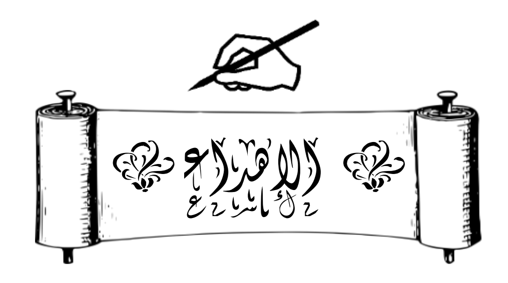
002 01100662595





رواية

منة الله رأفت



إلى رجلٍ أحببته وخذلني

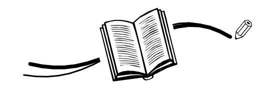
وسندٍ لم أجده

ومجنونٍ عصف بي

وآخر أراد أن يختبر قوتي فأدهشته

بكم ومن دونكم ما زلت أنبض، وما زلتم تفغرون أفواهكم من فرط دهشتكم

إلى القارئ إنها حكاية.. حديث صارخ للوجدان من قلب عشرات السيدات بمختلف أعمارهن



بين الذين أهدروا ماضينا والذين يصرون على إهدار مستقبلنا

بين الذين أفرغوا أرصدتنا، وأولئك الذين سطوا على أحلامنا

نظل نحن أثرياء الحب أشرف من غيرنا

أحلام مستغانمي

فوضى الحواس

السكينة لاتعني السكون

والصمت لايعني السكوت

ورؤية الظواهر لاتعني رؤية الدواخل

فالأشياء كلها حية في الداخل

ثم نكتشف أنه لا علاقة للأيام بالنضج

نحن نكبر بمرور الأوغاد

جبران خليل جبران

يمر جميعنا بتلك الأزمة التي تعترينا وتغير توجهاتنا والتي أطلق عليها علماء النفس **"أزمة منتصف العمر"**.

تلك الأزمة التي تدخلنا شرنقة صمتٍ، وعنفوان غضبٍ يمكن أن يدمرَ حياتنا.

وهي مثلها مثل أقرانها في هذا الجيل تمر بأزمة منتصف العمر.

فالأزمة التي كان يؤرخ لها العلماء بدايتها من عمر الأربعين ربيعًا تقلصت وأصبحت أزمة جيلٍ كاملٍ يعاني من الدمور العاطفي.

جيلٌ يشعر بالخيبات أكثر من الإنجازات.

جيلٌ كاملٌ يمر بأزمة منتصف العمر ويدهور حياته بيده، يقتل ما فيها من قيمٍ وأحلامٍ ومستقبل.

وكلما حاول أن ينجو بنفسه من ظلام هذا الشعور ابتلعته مجددًا أمواجه.

هل تعرف ذلك الإحساس المفاجئ برغبة تناول شيءٍ ما، دون شعورك بالجوع أو أي سبب وجيه آخر؟

هذا هو ما يسمى بـ "شهوة الغذاء"، ونادرًا ما تجلب هذه الرغبة الخير لأجسادنا!

وتشرح أخصائية التغذية والحميات "ماري بيث سودس"، من مركز جامعة ميريلاند الطبي أن "الرغبات" تكون رغبات عاطفية، مضيفة:

- "إن هناك فرقًا بين الجوع الفعلي والجوع العاطفي، الذي يكون رغبة في تناول نكهة ما، وليس حاجة للطعام لسد الجوع".

كذلك في الحب ليس بالضرورة أن يكون الإنسان جائعًا أو محرومًا من تلك الرغبة أو الشهوة العاطفية ولكن يمكن في ظل الملل أو فقدان الكثير من المشاعر في صخب الحياة أن يشتهي الإنسانُ الحبَّ.

أن يكون له رغبةٌ في تناول الحياة بنكهة اشتياق ولوعة حنان ودفء الإثارة.

والفارق كبير بين شهوة الحب وشهوة الجسد.. فأغلبنا يبحث عن الحب بمعناه الواسع والذي قد يضم معه الشهوة الجسدية لكن في أبهى صورها.. والإنسان السوي يسعى للحصول عليه بكل الوسائل ليرضي غريزته ونفسه ومشاعره،

ليرضي أشياء يخفيها خوفًا من ذلك المجتمع الازدواجي الناقم للحياة، الرافض والقامع للمشاعر الوجدانية خصوصًا إذا كانت الباحثة عن الحب أنثى.

فالأنثى في مجتمعاتنا إما صالحة تستطيع أن تخفي احتياجاتها ومشاعرها عن مجتمعها وعن نفسها أحيانًا.. وإما فاجرة عندما تبوح بمشاعرها ورغبتها في الحصول على ما يكفي جوعها العاطفي وما تفتقده من مشاعر.

على الرغم من أن الجوع العاطفي أصبح الشبح المؤرق لحياتنا ذكورًا وإناثًا.. فنحن نسعى، نتقاتل عملًا، نتظاهر بكبرياءٍ فجة، لا يهمنا شيء ولا تسقطنا أزمات، نخاف من نظرات الناس وشماتة الأعداء، لكننا ننصهر شوقًا لكلمة تدغدغ فؤادنا، ولأننا لا نجد تلك الكلمة، نغرق، نغرق بشرنقة صمت وندخل كهوف الفتور والاكتئاب.

وهي مثل جيلها تمر بتلك الأزمة الطاحنة فرغم ثقافتها ونمو عقلها إلا أنها في النهاية أنثى تحتاج لتلك الكلمات؛ كي تعيش.

فالغذاء الروحي أهم بكثير من الغذاء البدني، والإشباع العاطفي كان أول أولوياتها التي لم تعترف بها لأحد.

ففي مجتمعاتنا لا يمكن للمرأة أن تعترف باحتياجاتها العاطفية، لا يمكن أن تحتاج إلى رجل يفهمها، يضفي على عينها لمعة الحب والسعادة، فالرجل في مجتمعاتنا هو من يستطيع أن ينفق.

فقط الإنفاق هو من يحدد قيمة الرجل ويجعله الأعلى في عيون الأنثى أو المجتمع، تلك الأكذوبة لم تكن هي بحاجة إليها؛ كانت تتمنى رجلًا يفهمها ويقدر وجودها، رجلًا يضفي على وجهها أنوثةً ورقة،رجلًا يكسبها الحياة وترى الأمان بين يديه.

نعم، أعترف أن الأمان نسبيّ؛ فهناك من يراه في المال والقدرة على الإنفاق، ومنهم من يراه في الزواج، وآخرون يرونه في السكن ووجود أطفال يغذونه، لكن ما تعتنقه "حنان" هو الأمان العاطفي، أن تجد رجلًا يدللها، يشعرها أنها الشمس والجميع كواكبُ تدور حولها وتتحكم هي في مصائرها بتلك الابتسامة الحانية.

إنها "حنان" سيدة في العقد الثالث من العمر، اتخذت من اسمها صفته فاتسع حضنها ليضم أهل الأرض كافة، كانت تتمنى لو استطاعت مساعدة الناس كلهم، وكل من احتاج عملًا أو أموالًا للعلاج، تمنت لو كان القرار بيدها فلا تجعل في الأرض مسكينًا أو محتاجًا أو مريضًا.

كانت تسعدها الأشياء البسيطة:

- "مساعدة أحد، مشهد الطيور حينما تهبط على الأرض بحثًا عن غذائها، الشمس وقت الغروب، الأشجار المتراصة بالغابة أو إحدى الحدائق...".

تهوى القراءة والهدوء والسفر وفي المقابل كانت شخصية مثابرة محبة للعمل، تعلم أنه بالعمل تتحقق الأحلام، لهذا التحقت بالعمل في إحدى شركات الإنشاءات والمقاولات فور تخرجها في كلية الهندسة المعمارية بجامعة عين شمس، وأثبتت جدارتها في تسليم العديد من المواقع العقارية بالمدن الجديدة والتي أثنت على تصميماتها إدارة الشركة والعملاء على حدّ سواء.

لم ينسِها عملُها قلبَها ورغبتها في الحب والزواج والاستقرار، كانت تنتظر الحب لكنها لم تحصل عليه أبدًا، وتكمن هنا المشكلة التي طالما تناقشت فيها مع صديقاتها "شيرين – كاريمان – مي – دنيا – سارة – رنا ".

جميعهن بمختلف مستوياتهن الاجتماعية والثقافية تواجهن مشكلة واحدة وهي **"الحب".**

جميعهن يحتجن إلى الحب أو إلى رجلٍ يكفي ويلبي احتياجات القلب... لكن دون جدوى.

كان حب الجامعة أو حب المراهقة ما هو إلا محاولة للأنثى للتعبير عن وجودها، تحتاج من يصغي إلى أنوثتها التي بدأت في الظهور فهل من معجب يتلو عليها ترانيم الغرام الجميلة التي تذوب بها وتحلم معها بالفستان الأبيض والعش المخذول بأحلام الفتيات الصغيرات.

العش الذي يملؤه الحب والأشواق والسعادة دون التفكير في أي مسئوليات، حتى حلم الإنجاب كان حلمًا باكتساب صفة الأمومة دون النظر إلى المعاناة التي تعانيها الأمهات في توفير احتياجات أطفالهن.

حب الجامعة كان مادة خصبة للحنين والذكريات، نوستالجيا[١] انغمست بها حنان بإرادتها لتخفف عنها مسئوليتها.

جلست لتتذكر كاريمان، كيف كانت تلك البنت الجميلة، ضعيفة البنية، ورقيقة الطبع، وذات العيون الواسعة.

كانت تتمنى هي الأخرى أن تجد حبيبًا يغدق عليها بهداياه ومفاجآته، لكن كما كانت نظرة المجتمع للرجل المنفق، كانت تبحث عن فارس أحلامها وسط السيارات الفارهة والمقاهي باهظة الفواتير، فهي تحاول أن تقصر الطريق على قلبها فتحب من يوافق عليه مجتمعها ممن له القدرة على الإنفاق ببذخ ويوفر لها أعظم احتياجاتها، لكن كالعادة تأتي الريح بما لا تشتهي السفن، فقد وجدت ذلك الحبيب الذي أغدق عليها الحب والهدايا، وبمرور الأيام اكتشفت أنه قبطي ولا يمكنه الزواج منها أو التنازل عن ديانته، فكان الألم والحسرة والخذلان نتيجة لتجربتها.

---

١ هو مصطلح يستخدم لوصف الحنين إلى الماضي.

عانت مرارة تعلقها به طوال سنوات الجامعة، هذا غير المشكلات المجتمعية والأسرية التي تعرضت لها وأدخلتها في كهوف الخيبة والخذلان.

تنهدت حنان لتتذكر كلمتها المدوية لها طوال سنوات الجامعة:

"إحنا طول عمرنا بندور على الحب لكن عمرنا ما هنلاقيه".

تُرى هل كانت كاريمان محقة في ذلك؟

هل سنظل دائمًا نبحث عن الحب ولن نجده تحت تلك السماوات؟

وماذا إن لم نجده؟

نعيش عمرنا كله ناقصًا نبحث عنه ونشعر بالنقص والاحتياج ولا شيء يرضينا فنستمر بالبحث ونستمر بمقابلة الأوغاد ونحاول أن نتعلم وندخل شرنقة خوف من أي علاقة جديدة، لكن رغبتنا في إيجاد الحب تجرنا بقوة إلى داخلها لنختبر نصيبنا ونتعلم شيئًا جديدًا.

ابتسمت حنان ابتسامة ساخرة عندما رأت وجه أحمد يقفز في ذاكرتها؛ ذلك الوغد الذي أحبته فترة الجامعة وانتظرت أن يكون فارسها ويحملها على ذلك الحصان الأبيض ويطير بها إلى عش الحب الدافئ، ولكنها لم تجد منه سوى الهروب بحجة الظروف، لم يستطع أن يواجه أهلها ويتقدم لخطبتها بالطرق الشرعية، كان يفضل فقط السير حول أذن الفتيات ليذيقهن أجمل العبارات ويحصل منهن على أدفأ المشاعر والأحاسيس، وفي لحظات الصدق يهرب، يختفي وكأنه لم يولد من الأساس.

ابتلعت ريقها وهزت رأسها مؤمنة بالرضا وعادت تسبح في ذاكرتها لعلها تجد ما ينسيها ذكراه.

وهنا تذكرت صديقتها الثانية شيرين تلك الفتاة الجميلة الطويلة ذات الشفايف الملساء التي عشقت العمل الخدمي فالتحقت باتحاد الجامعة ومن ثَم رئاسته وكان له أثر بالغ في تكوين شخصيتها.

كانت سطوة أمها السبب الرئيسي في ضياع حياتها حيث أجبرتها على الزواج بقريبها الذي يقيم في إيطاليا وله من المال ما مكنه أن يشتري فيلا في التجمع الخامس للزواج.

كانت شيرين هي العروس التي حلمت أن تنشئ بيتًا سعيدًا، لكن لا يمكن أن توجد سعادة وسط سطوتين، سطوة الشخصية القوية والاستقلالية التي نمت بها شيرين واكتسبتها من انضمامها للأعمال الخدمية، وسطوة المال الذي يفكر مالكه أنه يمكن أن يشتري به كل شيء حتى الحب والنفوس.

تذكرت حكايتها عنه وكيف كان يطلب معاشرتها مغريًا لها بالمال:

- تعالي ندخل الأوضة مع بعض وأديكي ٥٠٠ جنيه.

وكيف كانت تنهره وتصرخ بوجهه:

- هو إنت جايبني من الشارع؟! أنا مراتك يعني لازم لما تكون عايزني تطلبني بشكل أشيك من كده.

وكيف أسفر هذا الزواج عن طفلة وعدم رضا أودى بهما إلى الطلاق والعودة للعيش ببيت أبيها تحت لوعة الاحتياج ونظرات الأهل القاتلة واللوم المستمر لأنها خربت بيتها وكأن المفروض أو الطبيعي أن تتحمل الأنثى كل شيء حتى الإهانة ولا تترك للشيطان ملاذًا أن يلعب بعقلها ويخبرها أنها ملكة نفسها لا بد أن تختار حياتها وأن ترفض ذلك الجاهل المهين التي وقعت عقد احتكاره لها.

ويظل الخوف والاحتياج وغلق الروح والقلب هو المأوى خوفًا من النقد المجتمعي أو تحكم طليقها في الحصول على ابنتها والهروب بها إذا تزوجت بآخر.

فترحب أن تكون أسيرة لأمومتها أفضل من أن تحرم من روح عشقتها وابنة أصبحت الملاذ ونبض القلب والعين.

يقطع تفكير حنان صوت صغيرها الذي يلهو بجوارها:

- ماما عايز آكل.... يا ماما أنا جعان، قومي اعملي لي آكل.

فترد عليه في خمول:

- حاضر يا قلب ماما، تعالَ نعمل أكل ونتصل على بابا نشوفه اتأخر ليه؟

تحمل صغيرها وتتجه إلى المطبخ تعد له الطعام وفي يدها الهاتف، تتصل على زوجها:

- ألو.... إيه الأخبار؟ اتأخرت ليه كده؟ قلقت عليك؟! جبت ليلى من المدرسة؟! طيب تمام ترجعوا بالسلامة.

تغلق الهاتف وتقدم الطعام لصغيرها "عليّ" وتبدأ بتحضير السفرة استعدادًا لقدوم زوجها وابنتها ليلى التي تبلغ من العمر تسع سنوات والتي اعتادت أن تقدم السفرة للغداء فور عودتهما من المدرسة حيث يعمل زوجها مصطفى مدرسًا لمادة اللغة العربية بمدرسة C-I-A الأمريكية بالتجمع الخامس، نفس المدرسة التي تدرس بها ابنتهما في صفها الثالث الابتدائي والذي اعتاد أن يأتي بها كل يوم من المدرسة معه ويتناول مع أسرته الغداء ومن ثم يعود ليستكمل أعماله التعليمية الخاصة بأحد المراكز التعليمية الخاصة الذي يمتلكها ليعود منها يوميًّا في الثانية صباحًا ليجد طفليه نائمين، وحنان في انتظاره لتعد له العشاء ومن ثم يستقلان سريرهما للنوم واللحاق بعملهما في اليوم الثاني.

كانت حنان تعمل بالشركة نفسها التي عملت بها منذ تخرجها ولكفاءتها تقلدت العديد من المناصب إلى أن تولت منصب نائب مدير الشركة التنفيذي رغم حداثة عمرها، وبهذا المنصب خصص لها أربعة أيام أسبوعيًّا للعمل؛ يومان بمقر الشركة ويومان في المواقع لمتابعة سير العمل وتقديم تقارير عن تطورات المشاريع لرؤسائها، وكان لهذا العمل فرصة لإثبات ذاتها وأيضا منحة يمكنها من الاهتمام ببيتها وأطفالها.

وكان سببا واضحا لغيرة البعض من أهل زوجها كإخوته من الإناث وزوجات إخوانه الذكور.

وكان كثيرًا ذريعة للمشكلات والقلق في البيت لكن دون اكتراث منها أو رغبة في موافقتهم على تركه يومًا.

يُفتح باب المنزل وتنطلق منه إلى الداخل ليلى، تلك الفتاة الجميلة ذات الشعر الأسود الطويل والبشرة السمراء، ويطبع تحت ذقنها طابع الحسن بتلك الغمازة التي تضفي عليها جمالًا ورقة، ولها عينان خضراوان في لون الزيتون. وشفاه صغيرة باللون الوردي تملأهم ابتسامة صافية حانية لا تعرف للشقاء طعمًا.

تجري ليلى على أمها:

- ماما ... أنا جيت وحشتيني قوي.

تقبّلها حنان وتضمها إلى صدرها:

- حمدًا لله على السلامة يا قلب ماما.

يدخل خلفها مصطفى: مساء الخير، عاملين إيه؟ يلا يا حنان حضري الأكل علشان عندي شغل كتير النهارده.

فتسرع حنان في تحضير السفرة كإجابة منها سريعة على طلبه، في حين تدخل ليلى لتبدل ملابسها وتغسل يدها وتعود لتنتظر الطعام.

يجلس الجميع على الطاولة لتناول الطعام وسط صخب التلفاز الذي اعتاد مصطفى على تشغيله فهو يهوى التلفاز بصوته العالي ولا يعرف أن يجلس أو يأكل دون وجوده حتى إنه في كثير من الأحيان لا يعرف أن يغفو دون أن يشاهده وينام على صوته، ورغم أن حنان لم تكن من هواة التلفاز إلا أنها اعتادت على صخبه وعدم ثبات قناة واحدة للمشاهدة أو عمل دراميّ واحدًا للمتابعة.. فالريموت دائمًا بيد مصطفى يتنقل من قناة لأخرى وقت وجود الإعلانات مما يفقدها أحيانًا التركيز معه أو متابعة عملٍ واحدٍ دون الخلط بينه وبين أعمال أخرى.

تبدأ ليلى في الحديث:

- أخدت "full mark" النهاردة يا ماما في الماث وأصحابي صقفوا لي.

يقاطعها مصطفى:

- وبالنسبة للإنجليزي اللي نمتي في حصته دا إيه؟ مش هنحكيه؟ شوفي صِرفة للبنت يا حنان عاملة مشاكل دايمًا مع

مدرس الإنجليزي في المدرسة؛ يا تنام، يا تتطلب الحمام وتتأخر في حصته، حتى الأخصائية طلبت أكتر من مرة إنك تروحي بس أنا بنسى أقولك.

حنان: طب وأنت ما شفتش ليه المشكلة وأسبابها؟ ما أنت هناك كل يوم!

- أنا هشوف شغلي بقى ولا هروح أسال المدرسين عن أحوال العيال؟ دي مسئولية الأم وكفاية إني ما بخليش الإدارة تبعت لك استدعاء ولي أمر أو يفصلوا البنت.

تقاطعه ليلى: ما هو يا بابا أنا مش بحب مستر وليد هو على طول بيزعق لي.

- ما هو لو كنتِ عاملة كل شغلك ومؤدبة مش هيزعق لك.

يقولها مصطفى بعصبية وبصوت مرتفع فتنظر ليلى إلى طبقها في استحياء لما قاله والدها ولم تكمل حديثها عن إنجازاتها في المدرسة.

تشعر حنان بغصة ابنتها فتلاحقها:

- ما فيش مشكلة أنا بكرة هروح معاك أعرف إيه الموضوع، وخلصي أكل وقومي البسي لبس النادي علشان عندك تمرين النهارده.

ليلى: حاضر.

مصطفى: ما تخفّي شوية النادي ده، واقعدوا ذاكروا في البيت شوية؛ ليلى مستواها مش حلو في المدرسة ركزي معاها شوية.

ليلى: يا بابا أنا شاطرة وكمان عندي بطولة لازم أتمرن.

مصطفى بسخرية: وأنت يا عليّ عندك إيه؟ أنا عارف يا ابني أنت اللي هترفع راسي.

حنان: ربنا يحفظهم ويوفقهم كلهم، مش اتاخرت عالسنتر ولا أعمل لك شاي؟

تقولها حنان في غصة وهي تبعد عنها صحنها

مصطفى: لا هشربه هناك، عايزين حاجة أجيبها معايا؟

حنان: هات جبنة ولانشون علشان المدرسة بكرة.

مصطفى: ااه دي نزولة لهايبر كده، ما تروحي أنتِ بقى وأنتِ راجعة من النادي طالما نازلة.

حنان: طيب.

يرن هاتف مصطفى فيقفز مشاورًا بإصبعه يطلب منهم الصمت بل كتم الأنفاس، يأخذ مفاتيحه وينزل ملوحًا لهم

بالسلام.

تنهي حنان طعام طفليها وتقوم متباطئة في وهن أو ضيق تلم الأطباق.

يرن هاتفها فتجدها هدى صديقتها من النادي، تلك الفتاة القصيرة، السمراء، التي لا تفارق الضحك والنكات فمها، وأنفها الدقيق الذي يعشق الفضول ومعرفه أخبار كل من حولها، فتجدها تعرف كل شيء عن كل سيدات النادي وبناته وسيدات وأمهات التلاميذ بمدرسة أولادها وأيضًا كل شيء عن جيرانها وأصدقائها.

تعد هدى وكالة أنباء متحركة؛ تعرف كل شيء عن كل الناس ولا تستحي أن تتكلم عنهم مع آخرين وتبادل النكات عليهم، حتى في وجودهم يمكن أن تتحدث عنهم وسط الأغراب فتقلب الجو مرحًا وتقصر مسافات التعارف، أحيانا يضيق البعضُ من سذاجتها هذه، وكثيرون يشيحون بوجوههم عنها، وأحيانا يتهمونها بالمكر والثرثرة، ولكن هي لا تبالي فإذا رمقتها أحدهن تضحك وتحكي حكايتها معها وما تعرفه عنها ويمكن أن تفعل ذلك بصوت عالٍ لتسمعها تلك التي رمقتها.

كانت حنان تفضل الاستماع إليها فهي تخرجها من حياتها وتذهب بها لعوالم مختلفة وحكايات جديدة تقتل الروتين في حياتها.

وكانت حنان تحاول دائمًا أن تكون حريصة في حكاياتها عن بيتها وزوجها؛ فلا تحكي إلا الأشياء العامة التي تعاني منها كل النساء، مشكلات الرجل مع المرأة التي تجدها في كل بيتٍ حتى لا تتهم بخبثها وفي الوقت نفسه لا تفضح حياتها للعوام

ترد عليها فينطلق صوت هدى بمرحه وضحكه:

هدى: إيه يا مُزة فينك؟ وصلتي النادي ولا لسه؟

حنان: لا لسه، هنلبس أهو ونيجي.

تشاور حنان لابنتها لتنتهي من ارتداء ملابس النادي وتومئ ليلى لها بالموافقة في سعادة وتنطلق أمام خزانتها لتحضر نفسها.

تستطرد حنان: دنيا هتيجي النهاردة ولا لأ؟

هدى: هتيجي يا ستي علشان كدا بكلمك ما تتأخريش؛ عندنا حكايات كتير عايزين نعرفها.

حنان: يا لهوي عليكِ أنا مش عارفة هتكبري امتى وتبطلي تحطي مناخيرك في حياة الناس.

هدى: أكبر؟! لا دي دعوة أنا مش حباها، أما إني أعرف حكايات الناس ف دي تجارب بنعرفها من غير ما نعيشها علشان ما نقعش فيها ولو وقعنا نعرف نخرج.

تضحك حنان: لا بتتعبي، عمل وطني ده؟ ماشي يا فيلسوفه، ربنا يخليكي للغلابة اللي زينا، هههه يلا اقفلي علشان أغسل المواعين وأنزل لكم.

تغلق حنان الهاتف وتشمر الثياب عن يدها لتغسل الصحون، وتخرخ عليها ابنتها بزي النادي وتمسك بشنطة النادي لتجهزها وتأخذ ما تحتاج إليه.

بينما يبكي عليّ ويرغب بارتداء ملابسه هو أيضًا ووسط مشاكسة ليلى له وهي تقول (مش هتيجي معانا هنسيبك هنا) يزداد بكاء عليّ ويزداد ضيق حنان وتطلب من ليلى أن تصمت وتذهب لتحضر له ملابسه الخاصة بالنادي.

تمتنع ليلى ضاحكة لتستشيط غضب أخيها، فتنهرها حنان وتقول لها: خلاص ما فيش نادي.

فتضحك ليلى: لا هتروحي علشان طنط هدى ودنيا مستنينك.

حنان: طب يلا يا سوسة علشان نلحقهم، لبّسي أخوكِ على ما ألبس.

تدخل حنان أمام خزانتها وتنتقي قميصًا أبيضَ منقوشًا بالورود السمراء وبنطالًا من الجينز الأسود وتسكب على شعرها بعض الفراشات الملونة كالأطفال فهي تحب الفراشات وزينات الشعر الملونة منذ طفولتها وتوزعها على شعرها الأسود الطويل في سرعة، تضع حبات العطر من نوع (جوتشي) وترتدي حذاء من القماش أبيض اللون ومعها شنطة من القش.

تخرج في أبهى زينتها وخلفها طفلاها، تدير سيارتها من نوع (ستورين زرقاء اللون) متجهة إلى النادي ولا تنسى أن تدير أغانيها المفضلة في السيارة وتغني مع أطفالها تلك الأغاني.

تصل حنان إلى النادي وتركن سيارتها في مكانها المعتاد آخر نقطة بالجراج العلوي ذلك المكان الذي لا يفضله الكثيرون حيث ارتفاع مطلعه الذي يتطلب قوة دفع متضاعفة للوصول إلى سيارتك، لكنها كانت تفضله حيث ينفتح منظر النادي بأكمله من حدائق وبحيرات واتساع الطرق والهواء المتطاير،

تشعر دائمًا في هذا المكان بالحياة أو إنها عند نقطة بداية الحياة أو العالم حيث الإنسانية والحب ودفء الطبيعة الذي يملأ الوجدان بالأمل.

تستنشق حنان الهواء المندفع النقي وتُخرج مع زفيرها همومًا ومتاعبَ تحملها وحدها لا أحد يعلم عنها شيئًا.

تغلق سيارتها وتمسك بيد طفليها ولكنهما سرعان ما تركاها وانطلقا مسرعين مهرولين يعرفان طريقهما إلى أصدقائهما فتنطلق هي الأخرى خلفهما خائفة عليهما من أي خطر قد يتعرضان له.

يصلا إلى الكافيتريا أمام حمام السباحة، يقذفان شنطهما على الكراسي بجوار هدى، فتضحك هدى وتشير إلى حنان من بعيد. فتبتسم لها في هدوء.

ينطلق الطفلان إلى حمام السباحة، يلعبان قبل بدء التمرين وتستقل حنان الكرسي المجاور ل هدى وتسألها:

حنان: إيه؟ دنيا لسَّا ما جتش؟

هدى: لا جت بس راحت تجيب حاجة.

حنان: طب تمام.

هدى: ما سألتيش ليه هتجيب إيه؟

حنان: آه، كدا وراكِ حكاية يا سوسة، إيه فيه إيه؟

هدى: دنيا خدت حبوب الشجاعة وراحت تكلم مدرب العيال.

حنان: وفين الشجاعة في كده؟! ما كلنا بنكلم المدربين عادي!

هدى: إيه يا بنتي أنت هتفضلي على نياتك كدا لحد امتى، ما أنتِ عارفة إن عينها منه من فترة وما بتنزلش عينها من عليه طول ما هو في الميه مع العيال.

حنان: يا بنتي اتلمي، أكيد مش اللي في بالك، وبعدين ما كلنا عينا بتطلع عليهم يا هدى، الجثة دي يا ماما مش موجودة في بيوتنا، تلاقي الواد من دوول واقف أسد، رشاقة، وترابيس ومجانس، وفورمة الساحل ويروح ناطط نطة بهلوانية في الميه تبقى عايزة تترمي وراه وتعوم عوم كلابي مش مهم هههه لازم عينينا تطلع يا ماما عليهم.

تضحك هدى وتمر جوارها إحدى الفتيات فتوقفها:

هدى: سماح.. ازيك.. مختفية ليه من فترة؟

سماح: كنت في الساحل.

هدى: آه ما أنا شفتك بترقصي بالمايوه على الفيس بوك وما كنتش مصدقة إن أنتِ تعملي كده، بس بصراحة المايوه كان جمييل، منتظرين الرقصة الجديدة بالمايوه الجديد أهو يمكن تطلعي بعريس المرة دى.

احمر وجه الفتاة،

تنظر إليها حنان وتضحك في استحياء

تعود هدى إليها وكأن شيئًا لم يكن

حنان: يخرب بيتك كسفتِ البنت.

هدى: يا أختي وهم دوول بيتكسفوا؛ دا رقصت رقص وسط ميت راجل على الأقل اصبري أنا حفظت الفيديو.

وتمسك بهاتفها لتشغيله ومن ثم تعطيه لحنان التي أخذته منها على عجل لتشاهد الفتاة.

*****

تصل إليهما دنيا تلك السيدة الطويلة الممتلئة التي تعرف كيف تظهر أنوثتها.

هدى: عود البطل جت أهي.

تقوم حنان لتأخذها في أحضانها قائلة:

- وحشتيني... وحشتيني جدًّا، حمدًا لله على السلامة.

دنيا: أنتم كمان وحشتوني جدًّا، إيه بتتفرجوا على إيه؟

تنظر في الهاتف

دنيا: آه البت البيض دي، دا الفيديو بتاعها خد تريند على الفيس بوك شوفته وأنا في السعودية.

حنان: آه ما هدى لسَّا موقفة البت دي ومدياها من المنقي.

تضحك دنيا وتنظر إلى هدى قائلة:

- يخرب بيتك أنتِ لسَّا مدب كده؟

هدى: يعني أنافق الناس؟ البنت بقت مشهورة يا جماعة مش لازم نقف جمبها ونتصور معاها يمكن نتشهر إحنا كمان.

يضحك الجميع

حنان: إيه بقى احكي لنا إيه أخبارك؟ عملتِ إيه في السعودية؟

دنيا: بلا نيلة هعمل إيه قاعدة خانقة ونزول بالنقاب وهو كالعادي رخم، طول اليوم في الشغل وأنا قاعدة في وش أمه تناقر فيا.

حنان: أنا مش عارفة ليه بيبعت لكم مع أمه كل سنة

دنيا: علشان يقرفني، بيقول إنها تبقى معايا تونسني في الطريق والبيت لما يكون في الشغل وما يبقاش خايف عليا في الغربة.

حنان: بس أكيد كان وَحَشك، كويس إنكم شوفتوا بعض.

دنيا: وحشني.. هو أنا لحقت أعرفه أصلًا.. دا إحنا اتخطبنا وهو مسافر، واتجوزنا وبعد أسبوعين سافر، وكل ما بينزل ينزل أسبوعين في السنة أو نسافر له برضو أسبوعين في السنة، يعني واحد بشوفه شهر كل سنة زيه زي أي حد غريب.

تتلألأ دمعة في عينها وتستطرد:

- دا حتى لما بيلمسني بحس إني لسَّا مكسوفة منه، بحس إنه واحد معرفهوش.

تقاطعها هدى بمرحها الدائم قائلة:

- بلا نيلة خدنا إيه من اللي عرفناهم ولازقين لنا وشنا في وشهم على الأقل أنتِ مستريحة من طلباته.

يضحك الجميع

حنان: أنت ازاي فقر كده؟

هدى: يعني أكدب.. أنافق؟ الراجل يا أختي كل شوية طلبات طلبات طلبات، اشي أكل، اشي شرب، اشي حاجات حلوة، تيجي بقى عند الدلع والكلام الحلو.. تلاقي حنفي قاعد معاكِ.

يضحك الجميع وتستلقي حنان على ظهرها من الضحك:

حنان: هموت يخرب بيتك، اهمدي.

هدى: والله.. يا راجل قول كلمة عدله، يا راجل تعالَ نقول كلمتين جوه، يا راجل ما تيجي ونجيب مليجي، ودا إيه صنم.. ما فيش.

يقترب منهن الطفلان، يأخذان أشياءهما من الشنط فتغمزها حنان بالصمت لحين انتهائهما فلا يصح أن يسمع الأطفال مثل هذه الكلمات.

يقفز المدرب في المياه بعد أن ألقى ابتسامة ل دنيا من بعيد فطأطأت دنيا رأسها في ابتسامة خجل.

لاحظت حنان ذلك ولكنها فضلت الصمت، في حين لاحقتها هدى:

هدى: المُز بيغمز لك يا مزة إيه النظام؟

دنيا: مين ده؟

هدى: أيوة اعملي عبيطة يا بت، اعملي عبيطة.

تنظر إليهما حنان من تحت نظارتها السوداء ولكن دون أن تتحدث في شيء وكأنها تركت لهما المجال لتسمع وتفهم ما يحدث.

ومن الماء يبدأ المدرب في شد انتباهها برمي بعض الكلمات المتوارية التي تمتدح بها، أو تعليقات على ابنها مصطفى ليلفت انتباها.

يُعرف عمر بمرحه وانطلاقه الدائم، لذا لا يمكن لأحد أن يرفض أو يتجنب الحديث معه، فهو طاقة حياة متجددة كل يوم، تعليقاته في أثناء التمرين يضحك عليها كل الحضور فلا هي بالتطاول أو بالإسفاف أو التعدي والتنمر على أحد، كلها تعليقات مضحكة تعزز من روح التمرين وتجعل الأطفال يعشقونه ويلبون أوامره مما ساعد الكثيرين الالتحاق في

المسابقات الأوليمبية والحصول على مداليات، وقد عزز ذلك موقفه لدى إدارة النادي وأعضائه.

تستحي دنيا من كلام هدى وتقوم لتحضر شيئًا ما ليشربنه رغم مرور السعاة ومضيفي الكافيتريا إلا أن دنيا أصرت على القيام وأخذ جولة داخل الكافيتريا هروبًا من رشقات هدى التي لا تنتهي.

لحظات تضمد بها خجلها وتستعيد مكانتها ورزانتها، لحظات تواري ابتسامتها ونظرتها الفاضحة.

لكن حنان سألتها أن تذهب معها فوافقت دنيا وتركتا هدى بمفردها وهما يعلمان أن مهما تركاها من الوقت لن تكون بمفردها مطلقا ففي جعبتها الكثير من الحكايات والقصص التي تشغل عقلها وفي جرأتها أو سذاجتها المقدرة على الحديث مع أي فرد تعرفه أو لا تعرفه.

اتخذتا مكانًا في زاوية الكافتيريا حتى غابتا عن أنظار هدى التي كانت تتبعهما.

فاجأتها حنان بسؤالها:

- إيه بقه؟ إيه موضوع عمر؟

دنيا: أنتِ هتمشي ورا كلام هدى ولا إيه؟ ما أنتِ عرفاها بترغي في أي هري.

حنان: لا مش همشي ورا كلام هدى مشيت ورا ارتباكك وخجلك كأنك لسَّا عروسة في العشرينات بتتعرف على حد علشان تحبه.

دنيا: أحبه؟!

حنان: آه تحبيه، أنا حسه بيكي.. زوج بعيد عنك، وعايشة لوحدك، أي ست محتاجة مشاعر وأحاسيس كتير، أنتِ مفتقداها، لكن يا دنيا ما ينفعش، ما ينفعش لأن زي ما قلت في الأول زوجة، في زوج لازم نحترمه.

دنيا: عارفة يا حنان ودا اللي تاعبني أكتر، أنا بتشد ل عمر بطريقة غريبة، الأول كان إعجاب، لكن دلوقتي أنا بتشد له ومش عارفة نهاية دا إيه.

حنان: نهايته حاجة من اتنين يا تكوني قوية وتكملي وتنفصلي عن الزوج اللي أصلا مش موجود وتكملي حياتك مع الشخص اللي ورّد خدودك ورجعك طفلة طايرة تاني، أو تنهي أي علاقة أو تفكير في عمر وتشتري خاطر ابنك.

دنيا: ابني اللي صعبان عليا مش عايزة أحرمه من أبوه رغم إنه مش بيشوفه غير كل فين وفين، لكن وجود أبوه مهم برضو، وكمان أهلي صعب يوافقوا على عمر، صعب لظروف كتير.

حنان: إيه هي؟!

دنيا: عمر رغم نجاحه في النادي إلا أنه فقير، ما عندهوش الفلوس اللي تخليه يفتح بيت وأسرة، مش بس كده، ازاي شاب لسَّا في أول حياته يتجوز بمطلقة، ازاي أنا أتطلق أصلًا علشان في واحد تاني غير زوجي في قلبي، لو حد عرف ده أكيد مش هيبقى عادي، دا غير ابني ازاي أوجهه؟ ازاي أقول له؟

حنان: طب لو لغينا كل الأفكار دي، أنت عايزاه ولا لأ؟

دنيا في سرعة:

- جدًّا، أقصد أن عمر هو الإنسان اللي حسيت معاه بالسعادة، نظرته فيها حاجة بتخلي جسمي كله يترعش، يتنفض من مكانه، بحس إنه دافي، هادي، مجنون، جواه حاجات كتير مش فهماها عايزة أكتشفها، حتى حضنه حساه مختلف.

حنان: حضنه؟! هو فيه بينكم حاجة؟

دنيا: لحد دلوقتي لأ، بس فعلا مشتاقة للإحساس دا جدًّا.

حنان: بس الأفضل الإحساس دا يكون في علاقة ما تندميش عليها.

تُطأطئ دنيا رأسها أرضًا قائلة: ادعي لي.

تربت حنان على كتفها وتدعو لها بصلاح الحال.

حنان: يلا بقى أحسن اتأخرنا على العيال وعلى المجنونة اللي هناك، وحاولي ما تحكيش معاها في حاجة أنتِ عرفاها لسانها عايز قصه.

دنيا: حاضر.

*****

تعودان إلى هدى وفي يدهما أكواب من القهوة والنسكافيه كلّ حسب طلبه.

تلمحان هدى من بعيد تجلس مع إحداهن.

سيدة مسنة تظهر عليها علامات العمر وتحمل في يدها زجاجة من الماء وعصا تتسند عليها

حنان: حكاية جديدة هنروح نعرفها دلوقتي.

دنيا ضاحكة: يخرب بيتها ما بتفصلش، بس أحسن خليها تنسى حكايتي.

تقتربان منها، تلقيان السلام على السيدة المسنة، وتقدمان لها كوبًا من النسكافيه فترفض السيدة وتطلب المغادرة، فيؤذن لها وكأنها انتظرت الأذن بفارغ الصبر.

تلحق هدى الكوب من يد حنان.

هدى: يا أختي هاتي الواحد ريقه نشف.

حنان: اتفضلي، ما أنت لو تبطلي شوية مش هينشف.

هدى: اسكتي يا عيني والله الست صعبت عليا.

تسكت حنان ودنيا وتنتظران استطرادها ولكنها تقاطعهما بسؤالها: ما سألتوش ليه؟

حنان ودنيا في الوقت نفسه: ليه؟!

دنيا: يا أختي هو أنتِ بتفصلي ما احنا عارفين إنك هتحكي.

هدى: قصدك إيه؟ إني رغاية؟

حنان: لا أبدًا اتفضلي يا ستي احكي. ما لها الست؟ صعبت عليكِ ليه؟

هدى: بنتها مغلباها؛ رافضة الجواز، مع إنها هتتجنن وتتجوز.

دنيا: فزورة جديدة دي من فوازير هدى؟

هدى: لا مش فزورة أنا هحكيلكم.. البت كانت بتحب واحد والظاهر كدا كان في حاجة ما بينهم ومن بعده رافضة تتجوز، بتقول لازم تحب الشخص اللي هتتجوزه أو هي اللي تجيبه.

دنيا: طب وإيه المشكلة في كده؟

هدى: المشكلة في حرقه قلب أمها عليها وخوفها تموت قبل ما تستّرها.. وشكلها كدا شاكة إن البت ماشية غلط.

حنان: ماشية غلط ازاي يعني؟

هدى: بتقول بتقفل على نفسها كتير وبتتكلم في التليفون وعلى النت.

دنيا: وإيه مشكلة ده؟ ما كلنا يا على التليفون يا على النت.

هدى: أنا عارفة بقى يا أختي بس البنات اليومين دوول يتفات لهم بلاد.. تلاقيها بتعرف حد ترغي معاه ولا مصيبة تكون بتعمل حاجات من اللي بنسمع عن.ها

حنان: ربنا يستر على ولايانا يا هدى متطلعيش سمعة على البنت من لا شيء.

هدى: لا وأنا مالي يا أختي دا أمها اللي بتحكي.

يخرج عمر من حمام السباحة ويقذف نظرة مبتسمة ل دنيا التي سرعان ما أسقطت رأسها خجلًا.

يجري الأطفال كلٌّ لأمه لتساعده في تجفيف جسده وخلع ملابسه المبللة وارتدائه بأخرى.

ومن ثم يجلسون حولهم يطلبون العصائر والمأكولات فينقطع الحوار ويبدأ حوار بين الأمهات والأطفال عن أحوال الدراسة والمدرسين ومشكلات الأطفال في المدرسة.

هدى: وأنت يا ليلى عاملة إيه في المدرسة، سمعت ميس جانيت بتشتكي منك.

حنان: يا خبر الموضوع لحق وصل، أنا هروح بكرة أفهم فيه إيه.

هدى: ما تكبريش الموضوع؛ ليلى طول عمرها شاطرة وتلاقيها بس بتدلع شوية.

دنيا: ابقي طمنينا بكرة عملتِ إيه؟

حنان: حاضر. مش يلا بقى يا أولاد علشان نلحق نروح الماركت.

هدى: كمان لسَّا هتشتروا حاجات، والأفندي بقى بيعمل إيه؟

حنان: هيعمل إيه بس الله يعينه في شغله، يلا يا ولاد.

يقف الأولاد وتقف هي الأخرى معلنين المغادرة.

يلوحون لأصدقائهم بالمغادرة وتستأذن حنان منهما وتذهب وتتبعها دنيا.

دنيا: أنا كمان همشي يلا يا مصطفى.

تأخذ ابنها وتلمح كابتن عمر يتجه إلى الجراج فتسرع في اتجاهه، تلمحهما هدى فتمسك هاتفها وتتصل على حنان:

هدى: الحلوين جايين عليكِ.

حنان: حلويين؟! مين؟

هدى: عمر ودنيا رايحين على الجراج شكل دنيا هتاخده في طريقها.

حنان: يا شيخة حرام عليكِ تلاقيها صدفة. يلا اقفلي أنا وصلت للعربية

تنظر حنان من أعلى تبحث عن ما قالت عليه هدى، وتجدهما فعلًا وقد استقلا سيارة دنيا وجلس إلى جوارها وانطلقا في الخروج.

تأخذ نفسًا عميقًا تطلق به عن خوفها مما قد يحدث ل دنيا وعنادها في تطوير علاقتها مع عمر ضاربة بكل شيء عرض الحائط.

وفرحة خفية تتخللها بدفء المشاعر وكيف للحب أن يغير حياتنا أن يجعلنا كالأطفال والمراهقين لا يهمنا شيء، كيف أنه يحولنا إلى أغبياء ننظر بعينين ضيقتين لا تتسع إلا لمن نحب.

غريبٌ هذا الحب، وغريب القلب حين يعشق يورطنا معه دون أن نعلم.

ومسكينة دنيا لا تكترث لما يحدث وأن الجميع يراها وستكون هي المذنبة الوحيدة.

تدير حنان سيارتها بعد نداءات طفليها:

- إحنا واقفين ليه؟! يلا يا ماما، عايزين نروح نجيب colors وشيكولا.

تنطلق بسيارتها إلى خارج النادي، متوجهة إلى الهايبر ماركت لشراء ما تحتاج.

*****

عند عودتهما إلى المنزل، كانت الساعة الثانية عشر ليلًا ولم يكن مصطفى قد جاء من عمله.

تطلب من طفليها الدخول إلى حجرتيهما وتغيير ملابسهما بعد الحصول على حمام ساخن يريح أجسادهما بعد تعب اليوم.

يدخلان بعده إلى الفراش للنوم بعد أن طبعت قبلة حانية على جبين كل منهما تطمئنهما به.

تدخل غرفتها، تخلع عنها روبها الستان لتظهر بقميصها الأسود الشفاف في غاية أنوثتها تضيف على جسدها بعض زخات من عطر شانيل، وتضع بعضًا من مرطب الشفاه على شفاهها. وتجلس على سريرها تقرأ أحد الكتب لحين عودة زوجها من عمله.

وفي الثانية صباحًا كعادته اليومية يفتح الباب في هدوء حتى لا يقلقهم، وينزوي إلى داخل غرفته، يجد حنان في انتظاره وقد رسمت على شفاهها ابتسامة حانية.

تساعده في تغيير ملابسه وسط بعض المداعبات التي تنم عن احتياجها له، وضحكات منه تدل على عدم رغبته في الالتقاء بها.

تخرج لتحضر له بعض المأكولات الخفيفة مع كوبٍ من العصير.

تدخل عليه لتجده قد نام دون أن يأكل ما جهزته له.

تعيده في البرّاد وتتذكر كلمات هدى وكيف كانت تتهكم على الرجال وأن ليس لهم وجود ولا فائدة.

تضحك وتدخل إلى جواره حاضنة إياه بيدها وتلقي على رأسه قبلة حانية قد اعتادت عليها من يوم زواجها وتخلد للنوم.

*****

تستيقظ حنان مبكرًا مع طفليها وزوجها.. تستعد لبدء يوم جديد يبدأ بنزولهم إلى المدرسة والعمل.

يسألها مصطفى: هتروحي تشوفي مشكلة البنت النهارده؟

حنان: آه هخلص إشراف على موقع الرحاب واطلع عليها.

مصطفى: ما كنت اعتذرتِ ولا غبتِ علشان ما تتأخريش على البنت.

حنان: متخافش مش هغيب عليها.

يخرج الجميع وتبدأ حنان في الاستعداد للخروج لعملها.

تقف أمام خزانتها، تخرج قميصًا أزرقَ من الجينز له ثلاثة أزرار عند صدرها، وبنطالا من الجينز الأزرق، تترك لشعرها الأسود الطويل أن ينسدل كخمار الليل على كتفيها.

تأخذ حاسوبها وهاتفها المحمول وتخرج منطلقة إلى موقع عملها.

تقف أمام المرحلة السابعة في مدينة الرحاب حيث امتدادها العمراني الكبير والملفت للنظر.

تدخل كابينة المهندسين ومعها حاسوبها المحمول الذي تفتحه على عجل لتباشر التقارير وتسجل ما يحدث من تطورات في عمليه البناء.

يثني عليها زملاؤها من المهندسين ويتوددون إليها، وتطيل معهم الحديث حول البناء والديكور المقترح أن يكون حول البنايات.

تنظر في ساعتها، إنها الثانية عشر ولا بد لها أن تذهب لمدرسة ابنتها لتعلم ما المشكلة التي تمر بها بنتها، حيث إن ليلى دائمًا نشيطة ذكية تحصل على درجاتها كاملة فهذا السلوك جديد عليها.

تستأذن من الحضور وتدير سيارتها وتتحرك في اتجاه المدرسة.

داخل المدرسة فناء ضخم، والتلاميذ هنا وهناك، وكافيتريا كبيرة على غرار المطاعم الأمريكية تقدم للأطفال وجبات ساخنة سريعة وعصائر.

المدرسة من المدارس الأمريكية الخاصة الدولية التي لا تتبع أنظمة الدولة ولكن تحضر امتحاناتهم من الخارج، ومقابل

ذلك يتم دفع آلاف الدولارات سنويًّا.

تنزوي إلى مكتب الإدارة، تقابل ميس جانيت، تسألها عن مشكلة ابنتها:

ميس جانيت:

- hello mumy, good morning

حنان:

- hello miss jani, can I know what's the problem with my doubter Lila?

ميس جانيت:

- oh sorry ،laila is very good girl, but in this year she make a lot of nutty act like sleeping in class, a lot of time late in wc. She didn’t want attend English class.

حنان:

- can I talk with her English mister.

جانيت:

- yes sure, one minute.

تتصل جانيت على حجرة المدرسين وتطلب نزول مستر وليد -مدرس فصل ليلى- إلى مكتبها.

وبعد لحظات يدخل عليها مستر وليد هذا الرجل الأنيق، يرتدي بدلة سوداء وفي شعره بعض الشعيرات البيضاء التي تمنحه وقارًا، أبيض اللون، ذو الأنف الدقيقة والشفاه الوردية وعيون يكسوها السواد.

مستر وليد:

-Good Morning Miss Janet

حنان:

-Good Morning Sir, How are you?

جانيت:

- this is laila’ s mother ،she want to talk with you about her daughter.

مستر وليد:

- with my pleaser

تتركهما ميس جانيت بالمكتب وتخرج مستأذنة للمرور على فصول الأطفال ومتابعة حركة المدرسة.

يجلس مستر وليد أمام حنان مبتسمًا متمتمًا بكلمات وصلت إلى آذان حنان: ياه أخيرًا.

حنان: عفوا؟!

مستر وليد: كنت منتظر مجيئك من فترة كبيرة.

حنان: ياه للدرجة دي البنت عندها مشكلة؟ يا ريت تفهمني إيه الموضوع بالظبط علشان أنا بدأت أقلق.

مستر وليد: لا ما تقلقيش أنا كنت مستنيكي تيجي وعملت كل حاجة ممكن تتعمل علشان اللحظة دي.

حنان: مش فاهمة.

وليد: ميسز حنان أنا أول ما شفتك في البيرنتس داي وأنا مش بفكر غير فيكِ وكان لازم أقعد وأتكلم معاكِ.

حنان في ذهول: نعم، أنت بتقول إيه؟

وليد: الحقيقة حضرتك قلبتِ كياني من أول لحظة وكان لازم ألاقي طريقة تيجي بيها وأقابلك وأكلمك.

حنان تقف منتفضة في ذعر:

- إيه اللي بتقوله دا يا مستر وليد يعني أنت عايز تفهمني إنك استقصدت البنت علشان توصل لي؟

وليد: مش لدرجة استقصاد، هو بس ضايقتها خليتها تتصرف بشكل عشوائي علشان تيجي.

حنان: آجي؟! أنت بتقول إيه؟! أنت ازاي تفكر كده؟! وإيه المتوقع مني؟! أنا طول عمري بسمع عن مدرس يستقصد طالبة علشان تاخد درس عنده لكن إنك تستقصد بنت ذكية ومتفوقة وتحولها لطالبة عشوائية كارهة تدخل لك الفصل علشان توصل لأمها اللي هي زوجة زميل ليك؟! أنا مش قادرة أصدق، وصدقني الموضوع دا مش هسكت عليه.

وليد: وليه متقوليش إنها بس حيلة علشان أكلمك وتفهمي اللي عايز أقوله؟

حنان: أفهم؟! أفهم إيه، الكلام واضح جدًّا ومش هيتسكت عنه.

وليد: يبقى بتجني على بنتك ومستقبلها في المدرسة.

حنان: تغور المدرسة، هنقلها من فصلك، هنقلها من المدرسة كلها أنا مش هسيب بنتي لواحد زيك.

تأخذ شنطتها وتفتح باب المكتب في خطوات سريعة مرتبكة.

ترتدي نظارتها السوداء، تسأل السكرتارية عن موعد عودة ميس جانيت لتخبرها أن أمامها ساعة للعودة من المرور على الفصول ويمكنها انتظارها، لكنها لا ترد على السكرتيرة وتخرج تمتطي سيارتها في فزع وذهول.

مجرد أن تدخل سيارتها تنفجر عيناها في البكاء وتتساقط دموعها، فهي لا تعرف كيف لرجل وقور مثل وليد أن يفكر بهذه الطريقة القذرة؛ أن يدخل طفلة في لعبة دنيئة من أجل الوصول إلى رغباته وشهواته.

كيف يفكر هذا الرجل؟

ولماذا هي بالتحديد؟!

أسئلة عديدة تقفز في عقلها ولا يقوى عليها قلبها

هل ستقول ما حدث لزوجها وهو زميل له؟

وماذا إن عرف؟

يمكن أن يتشاجرا أو يقتل أحدهما الآخر؟!

هل تصمت وتحاول نقل ابنتها؟!

يقطع هذيانها صوت الهاتف إنه زوجها، ماذا عساه أن يقول أو يفعل.

مصطفى: مشيتي ليه؟ لسَّا جانيت كانت بتسأل عليكِ.

حنان: لا أبدًا حسيت بدوخة بس.

مصطفى: واتكلمتي مع وليد؟

حنان: آه، والحقيقة مدرس فاشل ما عجبنيش كلامه، إحنا لازم ننقل البنت من الفصل.

مصطفى: وليد فاشل ولا بنتك يا هانم وأنت اللي مشغولة عنها بشغلك، ونقل إيه اللي بتتكلمي عنه في نص الترم.

حنان في غضب:

- مصطفى أنا تعبانة دلوقتي لما نبقى في بيتنا نتكلم.. سلام.

تغلق الهاتف في عجل وتستمر في أسئلتها التي لا تنتهي، لا بد وأن تفكر جيدًا في كيفية الخروج هي وابنتها من هذه الورطة وأن يبتعدا عن هذا الرجل المريض.

تدير سيارتها وتتجه إلى المنزل.

*****

في أحد مطاعم التجمع الخامس

تجلس دنيا وإلى جوارها الكابتن عمر

يشاهدان بعض الفيديوهات على هاتف عمر ويضحكان، وإلى جوار كل منهما شيشة بطعم الفواكه يدخناها.

يدخل النادل ومعه أطباق الكوردن بلو والأرز البسمتي الأصفر والبطاطس المقلية.

تركن دنيا الشيشة إلى جوارها لتأكل، تمسك الشوكة والسكين لتقطيع الفراخ فقد اعتادت أن تأكل بطرق الاتيكيت المتبعة.

بينما يمسك عمر الملعقة ويأكل بيديه قطع الفراخ وسط ضحكات وحديث لا ينقطع.

ينهي عمر ما بصحنه من طعام فيقترب لطبقها ليكمل معها دون أن تمانع هي ذلك تترك له ما تبقى من طعامها.

ينادي على النادل، يطلب مياه غازية ونار للشيشة، فيحضرهما النادل على الفور ويعودان لحكاياتهما التي تتابعها دنيا بشغف محب، أو ربما شغف دهشة، فهي لم تقابل أحدًا مثله من قبل، فشخصيته المرحة والبسيطة تسيطر على كل تصرفاته، وهي لم تعِش ذلك الجنون من قبل فكل حياتها رتيبة

ومنظمة، أضفت عليها شخصية والدها العسكرية نوعًا من الانضباط والجدية، فهي ابنة اللواء عادل العناني ذلك الرجل الذي عاش عمره كله في محاربة الفساد والإرهاب، وحاول أن يدير بيته بسياسته الخاصة فرغم أنه ألقى كل شيء في يد زوجته السيدة منال الورداني إلا إنه وضع السياسات التي يجب أن تسير عليها هي وأولادها، فلا نقاش بعد سياساته ولا رأي يعلو سلطته. قد كان كل شيء بحساب في بيت والدها، تأكل في موعد محدد، ملتزمة بقواعد الطعام، مع عدم التحدث على المائدة، تنام في موعد محدد، تخرج وتدخل بقواعد محددة، وأحيانًا تتنفس بأوامر عُليا.

حتى بعد أن تزوجت ذلك المهندس الذي اختارته لها أمها، فهو ابن أحد صديقاتها، ورأت أن مستواه الاجتماعي وأخلاقياته مناسبة لعائلتهم فوافقت على عمل مقابلة بينه وبين ابنتها، وكانت سطوتها في موافقة ابنتها أكبر فقد كان لها التأثير والسطوة على أبنائها وزوجها أحيانًا.

حتي بعد أن تزوجت لم تجد اختلافًا في الحياة عما كانت في بيت أبيها، الرجل غير موجود أغلب الوقت من العام بسبب عمله كمهندس بترول في إحدى دول الخليج.

السياسات والأوامر التي يلقيها من أجل تربية الأطفال، القواعد الأخلاقية والالتزام المستمر بضوابط الحياة الجدية.

جميعها أخلاقيات اعتادت عليها من طفولتها، وها هو عمر قد جاء ليكسر كل ما قد عاشته من أخلاقيات، فهو يضحك، يرقص، يتحدث بصوتٍ صاخب، يأكل بعشوائية، لا يبالي لأي شيء، ربما هذا ما جذبها نحوه.

تنظر في ساعتها لقد أوشك موعد خروج التلاميذ من مدرسة ابنها على الاقتراب، ولا بد أن تذهب للحاق به واستلامه، تطلب منه الرحيل فيضحك معلنًا إفلاسه.

عمر: ماشي بس أنتِ اللي هتحاسبي أنا معييش فلوس.

تبتسم دنيا معلنة موافقتها وتمسك بشنطتها لتخرج منها النقود، تعطية ٥٠٠ جنيه لحساب النادل.

عمر: الشيك لو سمحت.

يحضر النادل الشيك ينظر إليه عمر ويعد ٤٠٠ جنيه من الأموال التي بين يديه يدسهم في المحفظة الخاصة بالمطعم ويدس ال ١٠٠ جنيه الأخرى بجيبه.

تنظر دنيا إليه مندهشة ولكنها لا تظهر أي ضيق.

يقومان للخروج ويستقلان سيارتها.

عمر: وصليني في طريقك بقى لأي مكان أركب منه لوادي دجلة.

دنيا: طب يلا هكسب فيك ثواب وأوصلك.

يضحك عمر: حلو قوي بس وديني الأول قبل ما تجيبي مصطفى.

تهز رأسها موافقة وتنطلق بسيارتها.

*****

في المنزل تجلس حنان على إحدى الأرائك في حجرتها تضع يدها على وجهها، وشعرها المنسدل على وجهها يخفي ملامحها تفكر في طريقة الابتعاد عن ذلك المدرس وكيف لها أن تحمي ابنتها منه.

يدخل مصطفى عليها مرهقًا بعد شقاء طول اليوم، يسألها ما بها، فلا تجيب، تسأله أن تحضر له الطعام فيرفض ذلك ويقاطعها.

مصطفى: إيه بقى الهبل اللي بتقوليه بخصوص البنت ده؟ يعني إيه وليد فاشل؟ ويعني إيه تنقليها؟ مش مفروض تركزي مع بنتك شوية بدل الهبل ده؟

حنان: هبل؟! وأركز مع البنت؟! أنت ليه دايمًا لازم تحسسني إني مقصرة؟

مصطفى: لأن دي الحقيقة.

حنان: لا مش دي الحقيقة أنا عمري ما قصرت مع حد من عيالي، أنت مش عارف المشكلة اللي حاصلة في المدرسة إيه هي.

مصطفى: هيكون إيه غير إن بنتك مستواها الأدبي والأخلاقي بدأ ينزل، وأنتِ أمها يعني أنتِ المسئولة عن ده.

حنان: صح أنا المسئولة، بس الحقيقة إن المدرس مستقصد بنتك ولازم ننقلها من الفصل.

مصطفى: وهيستقصدها ليه إن شاء الله؟ هو احنا مدخلينها مدرسة حكومة، دي في أكبر مدرسة في مصر ما ظنش مدرس كبير زي وليد هيستقصدها علشان عايز يديها درس.

تقاطعه حنان في غضب وخجل:

- لا علشان عايز يمشي معايا.

يضحك مصطفى ويظنها تداعبه.

مصطفى: كمان ليكي نفس تهزري.

حنان: لا ما بهزرش دي الحقيقة.

يستشيط مصطفى غضبًا ويعلو صوته.

مصطفى: أنتِ أكيد اتجننتي، أنتِ علشان تبعدي عن نفسك المسئولية تورطي راجل محترم وزميل في مشكلة زي دي، اهتمي ببيتك وبعيالك، وشيلي من دماغك أي هبل بتقوليه، أصلًا هيبص لك على إيه؟

يتركها في ذهولها ويذهب إلى المطبخ ليحضر بعض الساندوتشات للعشاء.

تجلس حنان منكسرة لا تعرف كيف لها أن توضح له حقيقة الأمر، ومن الواضح أنه يتهمها هي بعدم الاهتمام، يلقي عليها هي باللوم دون أن يترك لعقله فرصة للتفكير في أي كلمة مما تقولها، تشعر وكأن أزمتها ازدادت صعوبة، وأن سندها التي كانت تنتظر أن يساعدها ويشدد عضدها قد تركها وحيدة ضعيفة أمام براثن ذلك الثعلب المكار.

تحاول أن تلملم ثورتها وتخلد للنوم لكنها شعرت ببرودة وسادتها، فهي خائفة، تحتاج من يطمئنها.

تركت الغرفة وذهبت لتغفو في حضن ابنتها، احتضنتها وحاولت أن تغفو، فنام جسدها وثار عقلها يعلن احتجاجه.

*****

تجلس هدى تلك القصيرة على طاولة خشبية قصيرة داخل منزلها وأمامها طاولة أعلى قليلًا تتناثر عليها بعض أطباق البيتزا.

وعلى مقربةٍ منها يجلس رجل أربعيني طويل القامة أسمر اللون، أجش الصوت، يمسك بطبق من البيتزا بين رجليه وفي يده هاتفه الجوال الذي يقلب بين تطبيقاته.

يأكل الرجل ويكتب على هاتفه ما يوحي أنه يتحدث مع أحد.

يبتسم ويأكل ويكتب.

وهي تجلس إلى جواره ترمقه بنظرتها بين البرهة والأخرى وتأكل البيتزا، وتشاهد أحد المسلسلات الهندية على التلفاز.

لا أحد يتحدث مع الآخر

لا أحد يشعر بوجود الآخر

كل ما يجمعهما أطباق البيتزا

*****

تستلقي دنيا في مضجعها وإلى جوارها ابنها مصطفى وقد غلبه النوم، تمسك بهاتفها الجوال وتدخل على تطبيق الواتس آب.

ترسل رسالة ترحيبية إلى عمر، فيرد عليها على الفور:

- لسَّا صاحية، وحشتيني.

تكسو ابتسامة وجهها:

- وأنت كمان، بتعمل إيه؟

- بفكر فيكِ، بقول قد إيه أنتِ جميلة ولو كنتِ مراتي دلوقتي كنت انبسطت قوي.

- بجد؟!

- آه طبعًا بجد، ما تيجي نجرب الإحساس ده.

- إحساس إيه؟

- إنك تبقى مراتي.

- إزاي؟

- غمضي عينك وتخيليني جمبك.

تغمض عينها ويرتعش جسدها بثورة أنثى تحتاج إلى رجل يهدئها.

تأتيها رسالة صوتية منه، بصوته المحشرج الحاني يلمس قلبها ويزيد قلبها انتعاشًا، تصغر عشرات الأعوام، وتلقي بنفسها بين أحضانه.

يوقظها رسالة من زوجها:

-صاحية ليه لحد دلوقتي؟ أنتِ والولد كويسين؟

فترد مقتضبة

- آه كويسين، تصبح على خير.

تغلق اتصالها بالإنترنت وتعمل مكالمة هاتفية بعمر لتعود بين أحضانه متحسسة مواطن أنوثتها.

*****

يشرق الصباح وتتخلل أشعة الشمس الحانية أطراف الستائر مداعبة عين حنان. فتنهض على الفور مقبّلةً ابنتها، وتخرج لتوقظ زوجها، ليستعد للذهاب إلى العمل.

يسألها أن توقظ الأطفال خوفًا من التأخر، ولكنها ترفض إيقاظهما وتعلن غيابهما اليوم من المدرسة.

وسط سخط زوجها تضع أمامه طبقًا من البيض الأومليت وقطع الجبن، وكوبًا من الشاي.

يتناول إفطاره على عجل ويدخل ليكمل ملابسه ويسارع في النزول وهو يلقي على سمعها بعض الكلمات.

مصطفى: أنتِ كدا بتخسري العيال خليكِ فاكرة.

تبتسم له ابتسامة صفراء مغلقة الباب خلفه.

وتجلس لتفكر ماذا تفعل في هذا الأمر الذي أحل بها.

تمسك الهاتف تتصل على ميس جانيت.

حنان: ألو ميس جانيت، آسفة إني بتصل في وقت بدري كدة.

جانيت:

- Never mind, what’s wrong?

حنان: في إمكانية أنقل بنتي من الفصل اللي فيه مستر وليد؛ لأن واضح إنهم مش هيتفقوا مع بعض؟

جانيت:

- Oh no, that’s impossible; We are in the second term, there’s no more classes empty.

حنان: أرجوكِ، حاولي تساعديني في ده، اعملي أي حاجة لازم البنت تتنقل.

جانيت:

- I will try, but not sure I can.

حنان: شكرا جدًّا، بس ممكن يكون الأمر دا في سرية محدش يعرف؟

جانيت:

- It’s sure ok ،but what’s wrong.?

حنان: هفهمّك كل حاجة بعدين.

جانيت:

- Ok, bye.

تغلق حنان الهاتف متمنية أن تستطيع جانيت مساعدتها.

بينما هي مستلقية على الأريكة تستيقظ ابنتها حيث اعتادت أن تستيقظ نزولًا إلى المدرسة.

ليلى: ماما فين بابا، هو نزل؟

حنان: آه يا حبيبتي نزل.

ليلى: أنتِ اللي هتودينا المدرسة.

حنان: لا ما فيش مدرسة النهارده، النهارده بتاعنا نخرج ونتفسح ونتبسط.

ليلى في فرحة: هيييه، بجد.

وتجري على والدتها تحضنها.

حنان: أنت قلب ماما، أحسن بنت في الدنيا، اوعي تخافي من حاجة أو من حد، اوعي تخلي حد يفرض عليك رأيه أو يخوفك أو يخليكِ تعملي حاجة أنت مش حباها، خليكِ دايمًا واثقة في نفسك واعرفي إنك صح وإنك شاطرة ولو قابلتك أي مشكلة تعالي واحكيها لي؛ أنا جمبك.

ليلى: ليه بتقولي كدا يا ماما؟ علشان مشكلتي مع مستر وليد والله أنا هسمع كلامه مش هزعلك.

حنان: أنا بقول دا علشان أنا بحبك، ولو مستر وليد مش شايف إنك شاطرة هو حر، أنا واثقة إنك شاطرة، ما تسمعيش كلام حد مش متأكد إنك كويسة ومش مقتنع بيكِ.

تضمها أكثر وتغرقها بين أحضانها وتقبلها قبلاتٍ حانية مؤكدة لها أنها أفضل البنات على الإطلاق وأنها بجوارها؛ لن تتركها أبدًا.

تلف ابنتها يدها حول عنقها معلنة حبها لأمها.

تمسك حنان بيدها تقبلها وتطلب منها أن تدخل لتستعد للذهاب إلى الحديقة خلال تحضيرها الساندوتشات ومتطلبات النزهة.

تجري ليلى على حجرة أخيها فرحة توقظه ليستعد هو الآخر، بينما تذرف حنان دمعة تمسحها سريعًا.

ليلى: عليّ، علي، قوم رايحين نتفسح.

ينتفض علي مطلقًا صيحات الفرح ويستعدا للتنزه.

يرن الهاتف إذ بها هدى.

حنان: أهلًا بالحلوة.

هدى: بنتك ما جاتش المدرسة ليه؟ سألت عليها مصطفى وأنا بوصل ابني بس قال ما جاتش، خير؟

حنان: لا اطمني إحنا بخير، هنزل بس أشتري لهم حاجات.

هدى: مش كنتِ تقولي كنا رحنا سوا بالعيال أنا كمان عايزة أشتري حاجات لعلاء.

حنان: يا ستي تتعوض، مرة تانية بإذن الله.

هدى: ما قلتيليش عملتي إيه مع جانيت؟

صمتت حنان برهة، خافت أن تحكي الأمر لهدى فينتشر وتكون هي وابنتها مرتعًا لحديث الآخرين.

ولكنها سرعان ما تحدثت:

- قابلت المدرس وعرفت إن البنت بتنام في الحصة وإن مستواها بيقل فقلت أقعد أتكلم معها يمكن في حاجة مش عارفينها.

هدى: ربنا يطمنك عليها يا رب.. ابقي قولي لي وصلتي لإيه وفكري في حاجة غير إنك تنقليها دي.

علمت حنان أن هدى قد علمت شيئًا عن الأمر، مؤكد من مصطفى، ترى ماذا قال لها أيضًا؟! ولكن لا بد وأن ترد بشيء من الدبلوماسية حتى تعلم كيف ستتصرف في هذا الأمر ومع هذا المدرس المريض.

حنان: حاضر يا حبيبتي، والله نقلها علشان أقلل الشكوى بس وأشوف إذا المدرس الجديد هيشتكي برضو ولا وليد مش عارف يتعامل معاها بس، ربنا يقدم الخير، مضطرة أسيبك علشان بجهز حاجات عندي.

هدى: ماشي يا مزة ابقي طمنينا عليكِ.

حنان: حاضر يا قلبي.. سلام.

تغلق الهاتف مطلقة تنهيدة كبيرة خوفًا من فضح الأمر وغباء زوجها الذي لا يرغب بالوقوف جوارها أو حتى تصديقها فيما قالت.

*****

العاشرة صباحًا.

خرجت حنان وأولادها للتنزه، وعادت هدى للمنزل لتحضير الغداء. في حين كانت دنيا تجلس مع عمر في أحد المقاهي السياحية في منطقة التجمع وبالقرب من مدرسة ابنها.

يحكي عمر عن حاله وعن ظروفه وكيف ساعد أخته في الزواج وأن كل ما يتحصل عليه من راتب يذهب في الإنفاق على البيت وعلى والدته وإخوته بعد وفاة والده.

والده الذي كان يعشقه ولا يظهر له ذلك.

كان دائمًا الابن المدلل الذي يرغب بالانشقاق عن والده؛ فلا رغبة له في العمل بتلك الحرفة التي كان يتقنها والده، وأراد الالتحاق بكلية التربية الرياضية والعمل كمدرب للسباحة، ومن أجل أن يفعل ما يريد التحق بالعديد من الأعمال من صغره حتى تساعده في الإنفاق على تعليمه.

جميع الأعمال كانت بعيدة عن مهنة النقاشة التي كان يتقنها والده.

ولكن عند مرض والده ووفاته شعر أنه كان طوال عمره مخطئًا، وأن الأب لا يمكن أن يعوضه شيء أو أحد.

كانت دنيا تستمع إليه بشغف، كيف لكل هذه البهجة أن تخفي وراءها الحزن!

يستطرد عمر حكاياته عن مغامراته النسائية، كيف كانت مثيرة، كيف أوقع بالعديد من الفتيات في غرامه، متى أحب هو حبه الأول، كانت جارته وكان يقف يتتبعها ويتحدث معها بصمت من فوق سطح منزله، وكيف خانته بالزواج من صديقه؟ كم من زوجة خانت زوجها معه؟

كانت كلماته تشق صدرها غيرة، وخوفًا من أن تكون كإحدى نزواته فقد أحبته.

يضيع الوقت ويمر سريعًا مع عمر، يحتاج اليوم إلى ساعات إضافية.

لماذا لا يقف الوقت عند لحظة سعادة مع من نحب؟ أو يقبل اليوم أن يعمل بساعات إضافية مقابل أن نضع في يديه مكافآت مالية أو بدلًا إضافيًّا مثلما تقدم كبرى الشركات لموظفيها.

جميعها أفكار تخترق قلب وعقل دنيا، فهي ترغبه بشدة ولا شيء يفرقهما سوى الوقت.

يحين موعد خروج ابنها من المدرسة، يمتنع عمر عن دفع الحساب بكلمات سريعة، تبتسم دنيا وتخرج الفيزا الإلكترونية الخاصة بها، يأخذها عمر ليسحب النقود من ماكينة ATM قريبة لأن المقهى لا يعتمد الفيزا.

تأتيها رسالة على الهاتف بسحب ألف جنيه من الفيزا.

يعود عمر وفي يده الفيزا، يعطيها لها وفي جيبه النقود مطالبًا النادل ليعطيه الحساب الذي كان ٣٥٠ جنيهًا.

ينصرف النادل ويقول عمر لدنيا:

- أنا سحبت ألف جنيه، هاخد الباقي علشان عايز أجيب علاج لأمي.

توافق دنيا فيبتسم لها، ويخرجان من المقهى.

*****

في الحديقة يلعب الطفلان، وتراقبهما حنان في صمت وسعادة أخرجاها من وحشتها وخوفها.

ولكنها لم تنسَ أمر ذلك الوغد فقد كانت تخطط في صمت كيف لها أن تحصل على حق ابنتها والهروب بها من عرينه الفوضوي.

أصبح الأمر مسيطرًا على تفكيرها ونشب بعقلها النار والكره لزوجها الغبي.

أمسكت هاتفها لتتحدث إلى جانيت لتعرف هل ستتمكن من نقل ابنتها أم لا، ولكن جانيت تجيبها بخيبة عدم استطاعتها ذلك.

تغلق مع جانيت لتجد رقمًا غريبًا يتصل بها.

حنان: ألو.

صوت رجل: أهلا يا مدام، عاملة إيه؟

حنان: الحمد لله، مين معايا؟

رجل: افتكرت إن معاكِ رقمي أو هتعرفيني من صوتي.

حنان: مين حضرتك؟

الرجل: وليد معاكِ.

حنان في دهشة وضيق ولحظات من الصمت:

- اممم أهلًا بحضرتك، اؤمر.

وليد: جانيت قالت لي إنك عايزة تنقلي بنتك ولأني المسئول عن الفصل رفضت، وأظن أنتِ عارفة إن ما فيش نقل في الترم، يا ريت نتقابل برا ونحل أي مشاكل تخص البنت.

حنان: أنتَ إزاي جريء كده، إزاي بتتكلم بالبجاحة دي؟ مش خايف أكون بسجل لك وأبلغ زوجي بكلامك ده.

وليد: أنا عارف إنك أذكى من كده، وبراهن عليكِ.

حنان في ضيق وعصبيه:

- ما تتصلش عليا تاني وأنا هعرف أجيب حقي وحق بنتي.

تغلق الهاتف في عصبية وتبحث بنظرها عن ابنيها وترتاح للنظر إليهما وهما يلعبان.

ترفع الهاتف تبحث على أحد الأرقام.

تتصل عليه.

حنان: ألو، أستاذ محمد. أنا حنان القاضي مديرة التخطيط في الشركة.

أستاذ محمد: أهلًا، أهلًا يا أستاذة أخبار حضرتك إيه؟

حنان: الحمد لله، آسفة لو بزعجك بس فيه استشارة

قانونية عايزاها من حضرتك لواحدة صحبتي.

محمد: اؤمري.

حنان: ليا صديقة اكتشفت أن مدرس بنتها في المدرسة بيستقصدها والهدف إنه يرافق الأم، إيه الحل؟

محمد: يا خبر! دا موضوع لازم له قاعدة يا أستاذة علشان أفهم أكتر اللي حاصل بالظبط. هاتي صاحبتك وشرفوني في المكتب.

حنان: ما ظنش هتقدر تيجي الموضوع مخجل بالنسبة لها، لكن أنا ممكن أجيب لك كل التفاصيل وأقابلك بكرة في الشركة.

محمد: طب تمام نتكلم بكرة في الشركة.

حنان: شكرا لحضرتك.

محمد: على إيه يا أستاذة أنتِ بنتي.

تغلق الهاتف وتتنفس الصعداء، تنادي على أولادها معلنة الرجوع إلى المنزل.

تمشي ويجريان أمامها، يقفان عند بائع الحلوى فتشتري لهما كل ما تشتهيه أنفسهما وينطلقان حيث توجد السيارة.

*****

السابعة مساء.

كانت قد عادت حنان وأطفالها إلى المنزل سعداء بعد أن أنهوا نزهتهم التي أعادت لهم السعادة والحياة، أخرجتهم من قلق الدراسة وتوتر الأحداث.

أرادت حنان أن لا تنتظر أحدًا هذه الليلة فلا سبيل لها لأي حديث، ولا تقوى على أي نقاش أو انتقاد من زوجها.

انزوت في سريرها بعد أن اطمأنت من دخول أطفالها في سبات النوم العميق السعيد.

أطفأت النور الخافت جوارها وأسلمت عينيها لعناق النعاس الهادئ.

.

.

.

.

.

بينما تغفو حنان وطفلاها كانت هدى في منزلها تجلس بجوار ابنها تعرف منه ما يدور في المدرسة وأخبار زملائه وأولياء أمورهم وطبيعة أعمالهم، ولم تنسَ أن تسأل عن أحوال المدرسين، من حضر، من تغيب، من أنجب أو على وشك الإنجاب.

جميعها معلومات اعتادت أن تجمعها كل يوم حتى تستطيع أن تعامل وتجامل من حولها، أو أن تجد مجالًا للحديث في موضوعات مختلفة.

تنتهي من استفساراتها ويطلب منها أن تتركه لعمل الواجبات المدرسية قبل النوم.

تطبع على جبينه قبلة وتتركه لتخرج وتجلس مع زوجها الذي يشاهد التلفاز.

تقترب منه فيطلب منها طبقًا من الحلوى. تقوم على الفور بتقديمه له، يأكل الحلوى في سكوت ويشاهد التلفاز وتنظر إليه في احتياج.

ذلك الاحتياج العاطفي واللحظة الحانية التي قد تغنيها عن آلاف الكلمات والأحاديث الخاوية.

تستشعر تجاهله فتهم بمتابعة التلفاز لعله يقطع صخب وجدانها.

يرن هاتفها المحمول لتجد دنيا.

دنيا: إزيك يا هدى؟ عاملة إيه؟

هدى: مُزة النادي وحشاني.

يومئ لها زوجها بإخفاض الصوت أو الحديث بالداخل، فتترك له الحجرة وتذهب للداخل.

دنيا: بقول لك ما تعرفيش حنان فين؟ تليفونها مغلق.

هدى: حنان يا ستي أخدت الأولاد تفسّحهم النهاردة تلاقيهم رجعوا هلكانين وناموا، عايزاها في حاجة؟

دنيا: لا..... آه... أصل كنت عايزاها في موضوع.

هدى: طب ما تقولي يمكن أعرف أساعدك.

دنيا: صراحة عندي سهرة النهاردة مع جماعة أصحابي وعايزة أسيب مصطفى مع حد.

هدى: وما له يا حبيبتي هاتيهولي يقعد مع ابني، بس أصحابك مين دوول اللي هتسهري معاهم؟

دنيا: ناس من أيام الجامعة ما تعرفيهمش، طيب هعدي عليك وشوفي لو محتاجة حاجة أجيبها معايا.

هدى: لا عندي كل حاجة، ولا أقول لك هاتيلي شوية لب أبيض أتسلى بيه.

دنيا: عيوني.

تمر ساعة من الزمن وتدق الثامنة ويدق معها الباب لتفتح هدى وتجد دنيا في ثوب سهرة أزرق اللون قصير يصل إلى ركبتها وعليه بالطو كاشمير أسود.

هدى: إيه دا كله، إيه دا كله؟ دا أنتِ ولا نجوم السيما.

دنيا: بجد عجبتك؟!

تدخلها هدى المنزل وتطلب من مصطفى الدخول لحجرة ابنها.

هدى: آه جميل بس شكلها سهرة على مستوى، رايحة فين يا لوزة؟ اوعي يكون اللي في بالي.

دنيا: وإيه اللي في بالك؟!

هدى: لا أبدًا يا خوفي تكون السهرة مع عمر، ما الحلاوة دي ما تنفعش للصحاب.

تحاول دنيا أن تغير الموضوع في ارتباك.

دنيا: ممكن أكلم زوجي دقيقة واحدة أقول له إني عندك.

هدى: كمان، وهتقولي له إنك عندي ونازلة؟ ولا عندي وقاعدة؟ الشكل دا مافيهوش قاعدة في بيوت خالص.

يزداد ارتباك دنيا وتشعر بها هدى.

هدى: اتفضلي اتفضلي على ما أجيب لك شوية عصير تبلّعي بيهم ريقك.

تغلق دنيا البالطو، وتلم شعرها لأعلى. تتصل على زوجها من منزل هدى تبلغه أنها ستجلس مع صديقاتها اليوم في منزل هدى لحضور مناسبة عيد ميلاد ابن صديقتهم.

تسمعها هدى فتبتسم وتحاول أن تجر شكلها.

هدى: فين هدية ابني يا دنيا حطتيها فين؟

ترتبك دنيا وتغلق الهاتف.

تفتح شنطتها وتعطيها اللب الذي طلبته.

دنيا: خدي اللب وأنا عندك النهاردة لو حصل حاجة كلميني.

تقوم على الفور وتطلب المغادرة تاركة هدى تنعم في استنتاجاتها.

هدى: كمان مشريتيش العصير، طيب أشربه أنا.

تشرب هدى العصير وهي في طريقها للمطبخ لتضع الكوب وتعود إلى حيث يجلس زوجها.

هدى: شفت دنيا المجنونة جت سابت الولد ونزلت تسهر.

زوجها: والله أصحابك دوول عايزين قطع رقابيهم، سهر إيه وقلة حيا إيه، طبعًا كان نفسك تبقي معاها.

هدى: أكدب عليك وأقول لك لا؟ طبعًا كان نفسي أبقى معاها، أسهر وأخرج وأفرح ما تيجي نسهر مع بعض في يوم برا يا أحمد.

أحمد: آه، أبقى أنا في شغلي طول النهار طلعان عيني مستني الوقت اللي أرجع فيه البيت علشان أرتاح وأنتِ تقولي لي نسهر، أنت مش مدركة أنتِ بتقولي إيه؟! قومي قومي شوفي لي حاجة أشربها.

هدى دون اكتراث لما يقول، تدخل لتحضر له كوبا من العصير وتتركه بمفرده.

*****

تدق التاسعة مساء.

تجلس دنيا على طاولة في بهو مطعم ليكزيس في التجمع الخامس، وهو مطعم أنيق على الطراز الإغريقي ممتلئ بالتماثيل والتحف الإغريقية ويقدم مجموعة من الأطباق الإيطالية والأوروبية.

تجلس وقد خلعت عن كتفيها هذا البالطو لتكشف عن فستانها الأنيق وجسدها الممشوق.

يجلس أمامها عمر مرتديًا طقمًا رياضيًّا.

وأمامهما النادل يضع لهما بعض أطباق الطعام من الإستيك المشوي والأرز الأبيض وخضار السوتيه.

ينظر عمر إلى الطعام في شراهة، بينما يلحظه النادل وينظر إليه في استعجاب، ويلفت ملبسه غير المناسب للمكان والتوقيت أعين رواد المكان.

عمر: بس قولي لي، إيه الحلاوة دي؟

تخجل دنيا وتنظر إلى طعامها في ابتسامة خجل.

يلاحظ عمر إحدى السيدات تنظر إليهما من الطاولة المجاورة فينطلق مداعبًا إياها.

- يا ست الكل منورانا هنا، تحبي تتفضلي معانا ولا إيه؟

تضحك السيدة فيضحك عمر مشاورًا إليها بالجلوس معهما.

عمر: إيه؟

يحمر وجه دينا خجلًا.

دنيا: عمر إيه اللي بتعمله ده؟

عمر: إيه.. الست عينها راشقة معانا وأنا ما أحبش حد يبص لي في اللقمة.

تضحك دنيا من هذا المجنون وتصرفاته ومظهره وبساطة ردود أفعاله.

يبدأ عمر في تناول طعامه في نهم.. مستمتعًا بالمكان.

عمر: بس المكان دا حلو جدًّا... دا تلاقيه غالي قوي.

دنيا: ما فيش حاجة تغلى عليك.

تخرج هدية من شنطتها؛ ساعة قيّمة، تعطيه إياها.

عمر: وكمان هدية.. ربنا يخليكي ليّا.

يتفتح وجه دنيا فرحًا كوردة زاهية الألوان، تنسى الحضور والطاولات وكل شيء وتسبح في عينيه، تتمنى أن يأخذها الآن

بين أحضانه.

ترتفع أصوات البيانو، فيجذبها عمر ليرقصا على نغماته.. فتنطلق تاركة خلفها كل قوانينها ومتاعبها.

يرقصان أمام أعين الجميع دون اكتراث.. يضمها إلى صدره.. فتشتم دنيا عبيره.. وتحركها فحولته.. فتصبح بين يديه قطة صغيرة يحركها كيفما شاء.

يرقصان ويدور بها أجواء المطعم دون تعب أو إعياء.

تمر الدقائق.. وهما يرقصان رقصة الحياة.. كعروس عاشقة تنتظر حبيبها منذ سنوات.

يدق هاتفها مرارًا على الطاولة دون اكتراث منها.

ينقطع الهاتف عن الرنين معلنًا انتهاء بطاريته، وتدق الساعة الثانية عشر، وما زالت دنيا وعمر يرقصان داخل المطعم..

يحتضنها وتسلم له نفسها..

يطبع بعض القبلات على جبينها دون مقاومة.. فقد أسكرتها نبضاته وترنحت كالمخمور دون خمر بين أحضانه.

تمنت أن تظل هكذا طفلة مختبئة في صدره.. عروسًا تنتظر ليلة دخلتها على من أحبت.. امرأة أشعلها الشوق واللهفة فسلمت جسدها لعازف يعرف كيف يشد أوتاره ليخرج أروع الأنغام.

تستفيق لحظة من سباتها، تجد الجميع ينظر إليها.. تخجل.. تزداد حمرة خدها.. تنظر إلى عينيه مطالبة إياه بإنهاء الرقص وعودتهما إلى الطاولة..

يستشعر ارتباكها ويجد في عينيها خجلًا ورغبة دفعاه للانقضاض على شفتيها المكتظتين في قبلة طويلة امتص بها رحيقها، تبعتها قبلات قصيرة خاطفة لتناول ما بقي من العسل.

أدخلها في هذيان وكادت أن تقع من فرط اللذة..

أمسك بيديها وأعادها إلى طاولتها وقدم لها من الماء ما يعيدها إلى صوابها.

نظر إلى هاتفه وجدها تقترب من الواحدة صباحا وعليهما المغادرة، طلب الحساب من النادل، أدخل يده في شنطتها، أمسك بمحفظتها وأخرج الفيزا وحاسب بها على الطعام.

اقترب منها والتقط البالطو ووضعه على كتفيها، وخرجا إلى السيارة.

انطلقت.. وهو ممسكٌ يدها يقبلها... انزوت السيارة لمكان هادئ، فطلب منها الوقوف، فرضخت لأمره، وتناول شفتيها مجددًا.

تركت شفتيها تتذوق شهد شفتيه فاستصاغ لها طعمهما.

دنيا: عمر أنا بحبك قوي.. أنا عايزاك.

عمر: أنا كمان عايزك قوي دلوقتي.. ما تيجي نطلع البيت شوية.

دنيا: إيه يا عمر ده؟ أقصد نتجوز.

عمر: وما له نتجوز.. بس أنا نفسي فيكِ قوي دلوقتي.

وانغمر ثانية يسكب الشهد في فمها ويذيقها ما لم تتذوقه من قبل.

يترك ليده العنان للهو في جسدها.. فتطلق لنشوتها السراح.

تقترب سيارة جوارهما، فيبعدها عنه، ويطلب منها الرحيل سريعًا.. محاولا إقناعها بالذهاب لقضاء الليل في منزلها.

فرفضت على استحياء.. فطلب النزول في أقرب مكان للمواصلات، أنزلته في حزن وشوق كمن أجهضت جنينها لحظة ميلاده.

نظرت إلى مرآة السيارة، لملمت شعرها المنسدل، ومسحت بقايا أحمر الشفاه الذي تلطخ من قبلاته. عدلت مرسمه، وانطلقت بسعادة إلى بيت هدى تستلم صغيرها.

تبحث عن هاتفها تجده وقد نفدت بطاريته.

تضطر للصعود إليها وأن تتحمل أسئلتها، تحاول أن تمنع الارتباك عن نفسها حتى لا تفضح أمرها، أي أمر تخاف كشفه وقد قبلها أمام الجميع في المطعم.

تتساءل كيف كانت بين يديه ضعيفة هكذا، كيف لم تمنعه، تبتسم وتقول في نفسها "مجنون غيّر حياتي".

تصعد درجات السلم.. تدق باب شقة هدى..

تخرج لها هدى في بطء متثائبة.

هدى: إيه دا أنتِ لسَّا فاكرة.. أنا اتصلت عليكِ كتير جدًّا وتليفونك اتقفل بعد كده.

دنيا: آه معلش فصل شحن.. مصطفى فين؟

هدى: مصطفى نام وشبع نوم.

دنيا: طب ممكن تصحيه علشان نمشي؟

هدى: لا، حرام عليكِ تاخدي الولد من فرشته.. ادخلي باتي عندي وبكرة روّحوا.

دنيا: لا خلاص بكرة آخده منك بس أنا هروح.

هدى: طيب يا ستي وبكرة لازم أعرف كنتِ فين وراجعة وش الصبح.

تصمت دنيا معلنة رحيلها.

تنزل السلم متحدثة إلى نفسها.

هل ستتركها هدى تخفي ما فعلته الليلة؟

هل إصرارها أن يظل مصطفى لديها فرصة أخرى لتواجدي مع عمر؟

تتمنى أن تقضي معه الليلة بل كل الليالي القادمة.

تمسك هاتفها لتطلبه، تتذكر أن هاتفها قد نفدت بطاريته ولم يكن معها ما يشحنه.

تستلم وتعود إلى منزلها في هدوء..

تضع هاتفها إلى الشاحن.. ترتمي على سريرها حاضنة يدها التي مسكها، تخرج لسانها يتحسس شفتيها ويتذوق ما تبقى من عسله.

تغفو في نوم عميق!!

*****

العاشرة صباحًا.

تجلس حنان مع المستشار محمد الوكيل في مكتبه بالشركة وهو المسئول القانوني عن كل معاملات الشركة وله باع طويل في المحاماة وقبلها القضاء.. رجل ذو هيبة يمتزج شعره بالبياض.

حنان: يا أستاذ محمد الموضوع زي ما شرحته لحضرتك.. مدرس بيضطهد طالبة عنده علشان عايز يكون في علاقة بينه وبين أمها.

محمد: طيب ليه صاحبتك ما حولتش البنت من الفصل والمدرسة؟

حنان: حاولت بس منفعش علشان نصف السنة الدراسية.. فكرت تقعدها من المدرسة خالص لحد ما تلاقي حل.

محمد: وأنتِ شايفة دا حل؟ هي كدا بتظلم البنت.. طب والدها عايش معاها ولا منفصلين.

حنان: لا عايش معاها وحكت له بس ما صدقهاش فهي عايزة تنقذ نفسها وبنتها دون الرجوع له ومن دون شوشرة.

محمد: تمام لكن علشان نتصرف أي تصرف قانوني لازم يكون معانا دليل يؤكد إنه طلب دا فعلًا.. تسجيل، رسايل.

حنان: والمحكمة تاخد بالكلام ده؟

محمد: طبعًا دلوقتي أي رسالة أو مكالمة أو تهديد الدولة والقانون بيتعامل معاهم بجدية تامة.

حنان: طيب هحاول أجيب لك دليل.

تخرج من مكتبه تتصل ب أ. وليد.

حنان: أستاذ وليد صباح الخير.. يا ترى ممكن نتقابل النهاردة.

- آه تمام في كافيه كومباني الساعة ٥.

- تمام يا فندم في انتظارك.

أيقنت حنان أنه لا يتحدث في أي تفاصيل في أي مكالمة هاتفية فلن تستطيع تسجيل أي شيء أو أن تحصل على دليل من خلال الهاتف لذا قررت أن تقابله كما سبق وطلب منها وأن تسجل له كلامه وهو معها.

جهزت هاتفها للتسجيل.. وشحنت بطاريته.

انتظرت الموعد لكن الساعة لا تتحرك.. ثقيلة كخطوات رجل عجوز لا يستطيع الحركة.

طلبت من هدى الذهاب لإحضار طفليها من المدرسة وانتظارها في النادي.

هدى: أنتِ كمان عندك سهرة ولا إيه؟ ولا أنا بقيت الدادة بتاعتكم؟

حنان: ليه بتقولي كده؟ لو دا صعب عليكِ ما تحمليش هم أنا هتصرف.

هدى: لا يا ستي أنا هجيبهم وأستناكم في النادي.

حنان: خلاص تمام يا حبيبتي كتر خيرك.

تترك الشركة وتنزل تنتظره في المكان المحدد قبل الموعد بساعتين، وفي عقلها تتسابق عشرات الأسئلة.

ترتشف قهوتها التي نسيتها في سباقها الذهني.

تجدها باردة فتطلب غيرها.. تدخن عشرات السجائر.

يتقدم نحوها رجل ثلاثيني يرتدي بذلته السوداء يربت على كتفيها فتنتفض.

حنان: أ.وليد.. حضرتك وصلت؟

وليد: وحشتيني...

تمسك حنان بهاتفها وتضعه في وضع التسجيل.

حنان: تاني حضرتك نفس العبارات اللي مالهاش أي معنى.

يمسك وليد بطفاية السجائر التي أمامها والتي كانت مكتظة بأعقاب السجائر.

وليد: كل دي سجاير.. بقالك كتير هنا؟

حنان في ارتباك: لا.. آه.. أصل كان عندي شوية شغل قريب من هنا فقلت آجي أخلصه في الكافيه بدل المكتب.

وليد: مبتعرفيش تكدبي.. الموضوع بسيط جدًّا، ليه كل الارتباك ده؟

تتأكد حنان من تشغيل التسجيل في الهاتف بنظرة خاطفة.

حنان: إزاي بسيط... حضرتك مضطهد بنتي وبتساومني أكون على علاقة بيك في سبيل إنك تعامل بنتي حلو وبتقول بسيط؟

وليد: ليه واخدة الموضوع بالصورة دي... أنا شفتك في البيرنتس داي وعجبتيني وحاولت بكل الطرق أوصل لك..

عرفت مكان شركتك.. موقع مشروعك اللي مش قريب من هنا زي ما قلتِ دلوقتي.. الأماكن اللي بتفضليها.. أصحابك وتصرفاتهم.. حاولت أظهر في أكتر من مكان بتتواجدي فيه لكن مخدتيش بالك ..كان لازم تعرفي إني بحبك.

تستمع إليه حنان في صدمة وكأن الردود طارت من فوق شفتيها.

حنان: بس، لحظة، كل دا من مرة واحدة في بيرنتس داي وأنت عارف إني متجوزة.. لأ، ومتجوزة زميلك.

وليد: الجواز قدر لكن الحب اختيار، الحب بيجي كدا في لحظة من غير مقدمات ولا أحكام عقلية، الحب بيجي لما دا (مشاورا لقلبه) يدق بتلاقيه طالع كدا زي عفريت العلبة في وش اللي حبه ويدخل تاني. أنا عارف إنك مش سعيدة مع مصطفى.. ومع ذلك.....

تقاطعه حنان: ودا عرفته منين؟!

وليد: من عينيكِ.

حنان: آه دي أسطوانات حافظها بقى.. الحزن اللي في عينيكِ، والنمش اللي في وشك.

وليد: لا خالص مش أسطوانات، بس أنا راجل بفهم في الستات.. عارف إيه معنى راجل ليل نهار بيشتغل وسايب مراته.

حنان: ودا يدينا الحق إننا نخون الراجل اللي شغال وطلعان عينه علشان يحقق لنا مطالبنا؟

وليد: في بداية كلامي قلت مش سعيدة ومع ذلك.. مسألتيش مع ذلك إيه؟!

تنظر إليه في دهشة دون حديث.

يستطرد وليد: مع ذلك محافظة على بيته وأولاده ومافكرتيش تعرفي حد رغم إن الوقت سامح لده.

حنان: ما هو أعرف حد مش أوبشن عندي.. وبعدين أنتَ عرفت منين إني معرفتش حد.

وليد: مش بقولك إني بقالى شهور بتواجد في كل مكان تروحيه وبسأل عنك كل معارفي... دا غير ارتباكك دلوقتي وكل السجاير اللي شربتيها دي.. ولا ممكن يكون ارتباكك بسبب كلامنا اللي بتسجليه دلوقتي.

يسحب هاتفها من أمامها ويغلق المسجل ويمسحه.

يتركه لها.

ويستطرد: أنا بحبك وعارف إن الظروف نقدر نغيرها بإيدينا، عارف إنك هتفكري في كلامي وإنك هتكلميني قريب.

يتركها وينهض تاركها فارهة الفاه من فرط الدهشة.

يودعها بابتسامة حانية وينزوي من جوارها ويربت على كتفيها.

تنظر حنان في دهشة عما حدث...

تنظر إلى هاتفها كيف له أن يعرف أنها تسجل له؟

كيف مسح دليل الإدانة الوحيد عليه؟

ما كل هذا الذي حدث؟

تضحك بسخرية على قدرها الأحمق الذي وضعها في المنتصف بين وغدين.

*****

تجلس هدى في النادي حولها الأطفال وأطباق الطعام على المائدة، تحدث نفسها: إيه الحلاوة دي أنا بقيت الدادة ولا إيه؟!

- يا مصطفى خلص أكلك.

تقترب منها سيدة مسنة تلقي عليها التحية فتسمح لها بالجلوس معها.

هدى: إزيك يا حاجة؟ عاملة إيه؟ وأخبار بنتك إيه؟ وحبايبك؟ فينك مش باينة ليه؟

السيدة: تعبانة والله يا هدى.. خلاص بنتي هتجيب أجلي.. جاتلي أزمة قلبية الأسبوع اللي فات لما شفتك هنا ودخلت ركبت دعامة...

هدى: ما شاء الله ولحقتي خفيتي؟!

السيدة: نعم... يوه جاتك إيه يا هدى دايمًا بتحبي تهزري.

هدى: لازم يا حاجة نضحك ونهزر أمال هنعيش في غم، المهم طمنيني على أحوالك.

السيدة: الحمد لله يا بنتي في نعمة، بس بنتي هتجنني.. هتجيب أجلي.

هدى: لا حول ولا قوة إلا بالله ليه بس؟

السيدة: شفتِ طلعت زي ما قلت لك بتعرف واحد.. جبتها قدامي وقلت لها صارحيني.. طلعت عارفة واحد من الزفت الشغل اللي هي فيه.. والواد بيتكلم معاها ومميل دماغها...

هدى: يا خبر.. بس يا حاجة وما له ما كلنا حبينا وأكيد هيتجوزها.

السيدة: لا مش هيتجوزها.. ما فيش واحد بيتجوز واحدة غِلط معاها.

هدى: غلط معاها؟!

السيدة: آه يا هدى البنت بتكلمه في الحب وقلة الحياء في التليفون وقال بتفتح له الكاميرا.

هدى: وأنتِ عرفتِ منين يا حاجة؟

السيدة: هي قالت لي كل حاجة.. قالت لي على أفكارها وتصرفاتها.. لا مش بنتي دي يا هدى اللي ربيتها وتعبت عليها.. مش كفاية أختها تموت من غير ما أفرح بيها.

هدى: صلّ على النبي يا حاجة.. أكيد في حل.. احكي لي بس وإن شاء الله نلاقي حل.

السيدة: الراجل بعد ما اتجوز عليّا زمان ورماني بالتلات عيال قعدت على تربيتهم وخدمتهم، واحدة اتعقّدت وجالها حالة نفسية وماتت، والتانية ماشية على حل شعرها خايفة يفوتها قطر الجواز وخايفة كمان من الجواز قام قالت تقضيها... لا وقوية يا هدى.. عينها مكشوفة.. طول عمرنا نعرف اللي بيغلط عينه بتنكسر.. هي لا...

هدى: أكيد أنت ظلماها يا حاجة.. أكيد الموضوع فيه حاجة أو الواد يكون ضحك عليها. أقولك خليني أتكلم معاها وأعقلها.

السيدة: يا ريت يا هدى يا ريت.. أنا والله يا بنتي بحبك زي أولادي والكلام دا ما ينفعش أقوله لحد.. أفضح بنتي؟ بس لازم حد يساعدني يا بنتي.. الصحة ما عادتش زي الأول.

هدى: يا ست الكل أنت أصبى مني.. دا إحنا نشوف لك عريس ونجوزك.

السيدة: يوه، جاتك إيه يا هدى.. طمنيني على بنتي ينوبك ثواب فيا وعقليها.. ومش هاوصيكِ الموضوع سر بينا.

هدى: الله المستعان.

السيدة: أقوم أنا بقى يا بنتي.. لولا دكتور السكر طلب مني أتحرك ما كنت رُحت ولا جيت.

هدى: ربنا يشفيكِ يا حاجة.. أساعدك طيب؟

السيدة: لا شكرًا يا بنتي... ربنا يصلح لك حالك.

تقوم السيدة مستندة على عكازها.

تلمح هدى حنان تقترب من بعيد فتبتسم لها.

هدى: أهلا أهلا يا ست هانم.. حمّيت العيال وأكلتهم وشوية وهرضعهم.. تؤمري بحاجة تاني؟

تضحك حنان وتخلع عنها نظارتها الشمس:

- يعني ينفع الزفة اللي مقابلاني بيها دي؟

هدى: أعمل إيه ما أنا بقيت دادة في لحظة.

حنان: معلش يا هدى غصب عني والله؛ كان عندي شغل.. هي الست اللي كانت قاعدة معاكِ عيانة ولا إيه.؟ يا عيني مش قادرة تمشي.

هدى: آة والله كانت عاملة دعامة قلب وعيانة خالص.

حنان: لا حول ولا قوة إلا بالله.. الله يشفيها يا رب.. وبنتها مش معاها بدل ما هي لوحدها كده؟

هدى: بنتها! بنتها ربنا يتولاها، عاملة لها مشاكل وطلبت مني أقعد معاها.

حنان: ليه كده؟

هدى: موضوع كده، بعدين أبقى احكيهولك.

حنان: الله دا أنت طلعت بتحفظي أسرار أهو، أمال مشردانا ليه طول الوقت؟

هدى: في ناس وموضوعات تستاهل إنك تشردي لها لأنها مش هتأذي حد.. أو بين أصحاب فبتفوقهم.. أو ناس أصلًا ما عندهاش دم ومش فارق معاها يتشرد لها.. وفي موضوعات وناس ما ينفعش تحكي عنها علشان لو حكيت عنهم هتكون بتأذيهم وتظلمهم.

حنان: دا أنتِ بقيتِ حكيمة بقى.. إيه ده؟ دا مصطفى هنا.. هي دنيا هنا؟

هدى: طول عمري.. لا يا ستي مصطفى بايت معايا من امبارح، ودنيا هانم لسَّا ما جتش.

حنان: بايت معاكي؟ ليه؟

هدى: أمه كانت عندها سهرة وسابتهولي.

حنان: الله، أنت فتحتِ حضانة كمان، ليكي حق تقولي دادة هههه.

هدى: اهي جات الهانم.. كنا افتكرنا نص جنيه.

تضحك حنان وتقترب منهما دنيا.

تلقي عليهما السلام وتقبّلهما.. تشير إلى النادل، وتطلب قهوة.

تسألهما: تشربوا حاجة معايا؟

فتردان بالرفض.

تطلب القهوة وتنطلق هدى في أسئلتها.

هدى: ها احكي لنا بقى كنتِ فين وراجعة وش الصبح؟

حنان: وش الصبح؟

هدى: آه الهانم عدت عليا تاخد ابنها الساعة ٢ الفجر وطبعا الولد كان نايم.

دنيا ممسكة بالهاتف ويظهر عليها بعض القلق.

دنيا: هدى، بالله عليك مش فايقة لك النهاردة.

هدى: ليه يا ماما؟ دا المفروض تكوني أنت أفوق واحدة فينا.. مش كنتِ سهرانة امبارح.

تحاول دنيا الاتصال ب أحد لا يجيب عليها فيزداد توترها.

حنان: فيه إيه يا بنتي؟ ما لك عمالة تتصلي على مين؟ وكنتِ فين امبارح؟

دنيا: كنت مع جماعة أصحابي سهرانين في مطعم في التجمع والوقت سرقنا.

تحاول أن تعاود الاتصال لكن دون إجابة.

يحضر النادل القهوة.. ترتشف منها بعض القطرات.

تستأذنهما للرحيل مع ابنها.

هدى: أنت جاية في إيه وماشية في إيه؟

دنيا: معلش يا هدى أنا مش في الموود النهاردة.

حنان: طيب نقوم احنا كمان كان يوم طويل عليا النهاردة ... يلا يا أولاد.

هدى: خلاص امشوا انتوا أنا هقعد شويه.. ما فيش حاجة أعملها لو روحت.

حنان: خلاص يا حبيبتي ماشي.. طمنيني عليكِ.

يسير الأطفال في الأمام يتسابقون ويلعبون.. في حين تسير حنان ودنيا على مقربة من بعضهما..

تعيد دنيا الاتصال بنفس الرقم دون إجابة.

تتأفف دنيا وتظهر في عينها دمعة تخاف السقوط.

تلمحها حنان فتسرع في سؤالها:

- عمر مش عايز يرد عليك؟

دنيا: وأنت عرفتِ منين؟

حنان: اوعي تفتكري إنه مش باين عليك.. كنتِ معاه امبارح؟

دنيا بعد لحظة صمت:

- آه.

حنان: وإيه اللي حصل؟

دنيا: مش عارفة مش بيرد ليه. برغم إننا كنا في قمة السعادة امبارح.

حنان: في حاجة حصلت بينكم؟

دنيا: كان حنين قوي، خدني في حضنه ورقصنا للصبح ومكنش عايز يسيبني.

حنان: في حاجة حصلت بينكم؟

دنيا تسقط دمعة بعد لحظة صمت استشعرتها حنان وفهمت ما حدث وسبب توترها.

حنان: كلنا بنغلط، بنضعف أمام كلمة حنينة من أي شخص.. لكن بلاش تستمري في الغلط.. علشانك وعلشان ابنك وأسرتك.

دنيا: أنا قررت اتطلق واتجوز عمر.

حنان: هو طلب منك ده؟

دنيا: هو قال هنتجوز أكيد.

حنان: قال أكيد.. ولا قال كدا علشان ياخد اللي هو عايزه.. قال أكيد ولا اتكلم عن الظروف؟

تصمت دنيا لا تعرف بماذا تجيب، فتستطرد حنان.

حنان: لازم تفكري هو عايز منك إيه.. لأنه ممكن يكون عاجبه مظهركِ.. مستواكِ.. مادياتكِ.. وبيحاول يستغلك.

دنيا: يستغلني؟

حنان: آه طبعا.. مبتسمعيش عن الرجالة اللي بتاخد فلوس من الستات وهم بيوهموهم بالحب.

دنيا: بس هو مش كده.. هو ظروفه اللي وحشة لكن أنا حاسة إنه بيحبني.

حنان: ساعات بنحس اللي قدامنا بيحبنا لما نكون احنا اللي بنحبه.. مش بيقولك مراية الحب عمياء.. لأننا بنشوف اللي احنا عايزين نشوفه، مش الحقيقي.. أو إننا بنشوف إحساسنا إحنا وبنتعامل على أساسه. مشاعرنا بتعمينا عن الحقيقة.. إدي لنفسك فرصة تفكري؟ يمكن تظهر لك حقائق ما كانتش واضحة.

تصمت دنيا وتومئ بالقبول بهز رأسها. لكن من داخلها لا ترغب بأن تفوق أو أن تجد حقائق غير التي تراها الآن.. لا ترغب بتكرار خذلانها وسقوطها ثانية في بئر الحرمان فقد أعطاها من الجنون والحنان ما لم تره طوال عمرها.. لقد أذاقها الحياة جرعة واحدة، فكيف لها أن تغادر.

*****

تجلس هدى بمفردها، تطلع على الطاولات التي حولها.. لا تعرف أحدًا.. تفكر في برودة صمت منزلها.. وزوجها الفاتر الذي لا يشعرها بوجودها.. كيف عانت من وخز احتياجاتها وتحملت آلام الوحدة، فهو لا يفعل إلا ما يريده.. لا يرغب بتقديم أي شيء لتلك السيدة التي تعمل على خدمتة ليل نهار.. أين هي؟ وأين احتياجاتها؟ أين السند الذي تمنت أن تجده؟

تقطع حبل أفكارها وتفز واقفة..

تسحب ابنها لتجلس في مكان آخر يمكن أن تجد به من يقطع صمتها.

تسير إلى ملعب الكروكيه، ذلك المكان الهادئ الجميل.. لا يرتاده إلا المسنون، يلعبون بهدوء.. فهو مكان من الزمن الجميل كنا نشاهده مكتظًا بالجمهور في أفلام الأبيض والأسود.. هو الآن فارغ لا يرتاده سوى بعض المسنين والعشاق.

تأخذ مقعدًا تحت شجرة عملاقة.. لتشاهد ذلك المسن وهو يلعب الكروكيه... فهو يسير ببطء ويقذف الكرة ببطء وهدوء.. ويفوز في صمت ولكنه مستمتع.. يذكرها بصمت زوجها وصخب تلفازه.

هدى: قطيعة تاخد الرجالة كلهم.

تقوم لتتوجه إلى منزلها فلا أحد اليوم سيؤنس وحدتها.. جميعهن غادرن وتركنها بمفردها.

تقترب من الكافيتريا فتجد صوتًا ينادي عليها.

تنظر لتجدها السيدة المسنة وجوارها فتاة عشرينية سمراء اللون.

هدى مشاورة لها وتقترب منها: أهلا يا حاجة.. أنتِ لسَّا ما روحتيش.

السيدة: تعالي يا هدى أعرفك على بنتي.

هدى: أهلًا بالحلوين.. ما شاء الله دا احنا قمامير خالص.

البنت: أهلًا يا أستاذة.. اتشرفت بمعرفتك.

تجلسها السيدة فتشعر هدى برغبتها بالحديث في أمر ابنتها.. فترتبك كيف ستبدأ معها.. وتبتسم أن وجدت ملاذها والذي سيؤخرها عن عودتها للمنزل..

فغالبا ما يأتي الملاذ متأخرًا.. ولكن ما أجمل النهايات.

تطلق سؤالًا سريعًا للبنت.

هدى: وعروستنا بقى مرتبطة ولا نجيب لها عريس.

السيدة: لا مش مرتبطة يا هدى.. همتك معانا عايزين نجوزها.

البنت: وأنا سبق وقلت لك مش هتجوز جواز الصالونات بتاعكم ده.

تنظر إليها هدى في تعجب من فرط حدتها فتحاول أن تروضها.

هدى: طبعا يا هيام أنا معاكِ في ده؛ هو فيه أحلى من الحب واختيار شريك مناسب.. يا حاجة الدنيا اتغيرت.

تصمت السيدة في أسى فتستشعر هدى حزنها.

هدى: ولسَّا بقى ابن الحلال ما خطفش قلبك؟

هيام: إن كان على ولاد الحلال فهم كتير.. لكن ما حدش صادق.. كلهم كدابين يوعدوكِ بالجواز وفي الآخر بيخلعوا.

تتعجب هدى مرة أخرى من صراحتها الفجة.. فلا تعلم هل هي صراحة أم وقاحة وقوة كما قالت السيدة لها في جلستهما السابقة.

هدى محاولة أن تجاري الأمر: والله عندك حق بس هنعمل إيه سنة الحياة يكون لنا شريك حياة.

هيام: أكيد.. ونفسي.. لكن المهم مين.. ادينا بندوق في الفاكهة لحد ما نختار.

هدى: فاكهة؟

هيام: آه الرجالة دوول زي الفاكهة في الموز والمانجا والفراولة، لما أعوز دلوقتي آكل منجاية أروح آكلها علشان اتبسط ... مش مهم بقى بكرة هاخد إيه.

هدى: كاكا.

هيام: ههههة والله هم كلهم في الآخر كاكا لكن ما حدش ضامن حياته هيموت إمتى.. والجواز حباله طويلة.. يا تلاقي اللي يصدق يا متلاقيش ..ف نقعد كدا من غير ما نجرب اللي نفسنا فيه؟

هدى: بس مش كل حاجة نفسنا نجربها ينفع نجربها.

هيام: لا كل حاجة قابلة للتجربة زي ما قلت لك فاكهة ولازم ندوقها.. وإلا هتعيشي وتموتي من غير ما تعرفيها.

هدى: بس الفاكهة لو معكيش تمنها مش هتدوقيها.. بالظبط الجواز لو معندكيش الإمكانيات مش هتدوقيه.

هيام: لا هيداق.. بالحلال بالحرام هيداق.. لو أنا جعانة وقدامي محل أكل.. يا هشتغل وأتعب وأشتري اللي عايزاه.. يا

هسرق منه أي حاجة تسد جوعي لحد ما يبقى معايا تمن الوجبة كلها.

السيدة: يا حلاوة على تربيتي، ضيعت عمري عليكِ وفي الآخر أسمع منك الكلام ده.

هيام: انتوا ليه بتزعلوا من الحقيقة.

هدى: صلِّ على النبي يا حاجة.. ومتزعليش نفسك هم الجيل الجديد أفكارهم مختلفة.

تستشعر هدى بتأزم الموقف.. ووقاحة البنت.. وتعب الأم.. تنظر في ساعتها وتستأذن للرحيل فيُسمح لها.

تسير وهي تفكر في أمر هذه البنت..

من أين جاءت بكل هذه الجرأة؟

كيف لا تستحي من الحديث في هذه الأمور.

تقول في نفسها: "ما كُناش بنات.. لو البنات خلفتها كدا مش عايزة بنات.. منك لله يا شيخة كرهتيني في البنات كلهم".

تظل كلماتها تعاد في عقلها.. وتقف عند كل كلمة لتفهم مقاصدها التي صرحت عنها بكل جرأة وحدة ولباقة.. وكأنها

تدافع عن قضية وطنية.

ومن يدري قد تكون تلك قضيتها وقضية عشرات في جيلها.. يحتجن للزواج وتشعلهن رغباتهن.. لكن لا مأوى لهن في الحلال والزواج لصعوبة الظروف الاقتصادية.

هنأ ياتي دور الدين..

لماذا لم تتمسك بدينها؟

تعتقد في حديثها أنه قد وقع عليها ظلم من الله.. فهي تشعر أنه السبب فيما وصلت إليه.

حاشا لله، فالله عادل كريم.. والحياة امتحان.

*****

تجلس دنيا على أريكتها بحجرتها، تمسك بهاتفها وتتساقط الدموع من عينيها.

ترسل رسالة إلى عمر ...

وتنتظر الرد لكن دون إجابة.

تتذكر كلمات حنان ويدور بعقلها الكثير الأسئلة..

"هل من الممكن أن مراده استغلالها كما قالت حنان؟

هل وجوده معها من أجل سحب بضعة جنيهات؟

تفتكر أنا رخيصة قوي كده؛ بعرف واحد يديني حب وحنان وحاجات كتير محتاجاها وفي المقابل بدفع تمن ده؟

طب ما كل شيء بيتباع ويشترى، لكن الحب كمان بيتباع؟

بنقدر نشتري الإحساس والمشاعر؟

ازاي أنا حاسة كل المشاعر دي وتبقى وهم أو من طرف واحد؟

أكيد فيه حاجة غلط...".

يرن هاتفها فتجده زوجها.. تغلق مكالمته فيعاود الاتصال فترد في عصبية وحدة.

دنيا: ألو.. أيوة، عايز إيه؟

لا كنت نايمة وأنت قلقتني.. لما أقوم أبقى أكلمك.. باي.

تغلق الهاتف وتحاول الاتصال بعمر ثانية.

يرد عمر في برود.

عمر: ألوو.. خير.. عايزة إيه؟

دنيا: عايزة إيه؟! أنتَ فين كل ده، بتصل عليك وما بتردش.

عمر: وأرد ليه؟

دنيا: ترد ليه؟ مش فاهمة.

عمر: لا حاولي تفهمي.. حاولي تفهمي إني مخنوق من امبارح.. بعد ما وصلتيني لأحلى درجة من الحب.. رميتيني في الطريق كأني كلب ولا يسوى.

دنيا: أنا؟

عمر: آه أنتِ.. أنا كنت هبوس إيدك ورجلك امبارح علشان نقضي الليلة مع بعض وأنتِ بمنتهى السهولة مهتمتيش ونزلتيني في الطريق. حسيت بمنتهى الإهانة.. حسيت إن كل مشاعري دي ملهاش مكانة عندك.

دنيا: متقولش كدا يا عمر أنا بحبك.. وامبارح أنا كنت عايزاك جدًّا بس ما ينفعش نعمل حاجة نندم عليها بعد كده..

أنا......

يقاطعها عمر: ششششش... أنتِ إيه؟ أنتِ باردة ما بتحسيش؟

دنيا وقد قاطعتها دموعها: أنا يا عمر؟

عمر: آه أنتِ.. لو كنتِ بتحسي أو بتحبيني ما كنتيش سبتيني امبارح.

تنهار دنيا في البكاء فيحاول أن يهدئها عمر.

عمر: أنتِ عارفة إن أنا بحبك وما بقتش قادر أستغنى عنك.. أنتِ شقلبتي لي كل كياني.. أنا عايزك يا دنيا.. هموت وألمسك وأحس بحضنك وأنتِ معايا.

دنيا: وأنا كمان يا عمر عايزاك وعايزة حضنك بس.....

عمر في عصبية: بس تاني؟! أنتِ مصممة تضايقيني.

دنيا: طب أقولك إيه وما تزعلش؟

عمر: تديني معاد نكون فيه مع بعض.

دنيا بعد صمت طويل: أنا ملكك ومقدرش أزعلك.

عمر: عارفة لو كنتِ قدامي دلوقتي كنت عملت إيه بعد الكلمتين دوول؟

دنيا في ابتسامة خجل: كنت عملت إيه؟

عمر: كنت شيلتك في حضني ولفيت بيكي وغرقتك بوس.

دنيا: حلو ده.

يضحك عمر: حلو ده! بتحبي البوس أنتِ هههه.

دنيا: لا بحب حضنك.

عمر: طب يلا تعالى جواه.

دنيا وقد هدأت من عنفوان دموعها وتفتحت ورود خدودها وتحشرجت الكلمات في حلقها خجلًا.

دنيا: نفسي قوي.. وحشتني قوي.

يقاطعها نقرة خفيفة على الباب.. فتطلب منه إنهاء الاتصال.

تغلق هاتفها وتفتح الباب لمصطفى.

مصطفى: ماما أنتِ قافلة على نفسك ليه؟

دنيا: أبدًا يا حبيبي كنت نايمة.

مصطفى: تيتة سيدة جت برة.

تومئ بضيق وتطلب من صغيرها الخروج..

ترتدي "روب" من الستان وتخرج منطلقة خلفه بعد أن جففت عينيها من بقايا الدموع.

دنيا: أهلًا أهلًا يا ماما أخبارك إيه؟

سيدة: أهلًا يا مرات ابني.. فينك مختفية ليه؟

دنيا: لا في الدنيا يا ماما بس أنتِ عارفة المدارس بقى.

سيدة: مدارس؟! وهي المدارس تمنع إنك تيجي تشوفي حماتك؟

تشعر دنيا بالضيق والتأفف فتستطرد سيدة:

- عموما أنا قلت آجي أقعد يومين في بيت ابني مع حفيدي علشان وحشني.

دنيا في ضيق: تنوري بيتك يا ماما.

تستأذن منها لتحضر لها مشروبًا.

تمسك هاتفها بالمطبخ ترسل رسالة صوتية ل عمر.

- عمر ما تتصلش عليا حماتي عندي.. أنا هبقى أتصل بيك.

تترك الهاتف فتجد سيدة خلفها في المطبخ.

سيدة: بتقولي حاجة يا دنيا.

دنيا: لا دا البنات بيبعتولي معاد التمرين بكرة فبرد عليهم.

سيدة: اه، طيب. أنا داخلة أوضة مصطفى.. هاتيلي العصير على هناك.

دنيا: حاضر.

تسير خلفها بكوب العصير وتقدمه لها.

سيدة: اعذريني إني جيت من غير معاد لكن بتصل عليكِ يا تليفونك مقفول يا مشغول.

دنيا: لا ممكن تكون شبكة بس.

سيدة: رجعتِ إمتى من عند صاحبتك امبارح؟

دنيا: صاحبتي؟

سيدة: آه صاحبتك.. محمود قال إنك كنتِ في عيد ميلاد.

مصطفى: لا يا تيتة دي ماما كانت.....

تقاطعه دنيا.

دنيا: مصطفى يلا اطلع على سريرك في مدرسة بكرة.. منورة يا حماتي.

تلاحظ سيدة مقاطعتها ل مصطفى وارتباكها فتكرر السؤال:

سيدة: إيه ما كنتوش في عيد ميلاد ولا إيه.. شكل محمود فهم غلط.

دنيا: لا كنا في عيد ميلاد فعلا.. تصبحي على خير يا حماتي.. مصطفى تعالى نام جمبي علشان تيتة تنام براحتها.

يقوم مصطفى مع والدته وتغلق الباب على حماتها.

في الطريق لحجرتها تحتضن ابنها.

دنيا: إحنا مش اتفقنا أن ما نحكيش حاجة لحد؟

مصطفى: حاضر يا ماما بس تيتة مش حد غريب.

دنيا: لا ما نحكيش حاجة لأي حد لا غريب ولا قريب.

مصطفى: ولا حتى ل بابا؟

دنيا: أنت حكيت ل بابا حاجة.

مصطفى: أصله كلمني الصبح وأنا عند طنط هدى وقلت له إني نمت عندهم علشان أنتِ اتأخرتِ عليا.

تغمض عينيها في صدمة.. تدرك أسئلة حماتها.. وتكرار اتصال زوجها.

تدخله لينام.. وتجلس تفكر في ما ستقوله لهما عن أمر تركها صغيرها.

*****

ترتشف حنان قهوتها المسائية... مدخنة عشرات السجائر.. يكسو البيت الهدوء.

تعيد ما قاله وليد في المقهى.. وتحترق خوفًا من جرأته وتصرفاته غير المفهومة.. مراقبته لها.. معرفته أنها تسجل له ومسحه لما سجلت..

تدرك أن ورطتها تزداد تعقيدًا.. فمن تحاربه ليس بالسهل خداعه.. فكيف لها بحيلة تبعده بها عن طريقها وابنتها.

تستوقفها بعض كلماته..

ترى هل يحبها فعلا؟

هل فعل كل هذا من أجلها؟

تعود لصوابها وتحدث نفسها: "ولو، حتى لو كل اللي فيه دا حب ما فيش أي حاجة تعطيه الحق إنه يعمل كده..

تعود في ضعف لتتساءل: مش ممكن يكون فعلًا عمل كدا علشان يلفت نظري زي ما بيقول؟!

وسرعان ما تنهر فكرتها: إيه يا حنان؟ فوقي دا إنسان سيئ.. وأنت ست متجوزة وعاقلة ما ينفعش تفكري فيه أو تبرري أي تصرف له.

يقطع تفكيرها صوت الباب ينغلق لتجده مصطفى قد أنهى عمله.. مر الوقت دون أن تشعر..

يقترب مصطفى بوجه مرهق وعينين ناعستين.. يلقي عليها السلام ثم يقول:

- كل دي سجاير وقهوة؟ مش قلنا بلاش سجاير في البيت؟

حنان: ما أنا لوحدي يا مصطفى والعيال نايمة.

مصطفى: مش قادر اتخانق.. اعملي اللي تعمليه.. تصبحي على خير.

حنان: مش هتاكل؟

مصطفى: شكرا.

يتركها ويذهب إلى سريره ويغفو سريعا.

تقفز في عقلها مقارنة بين الرجلين؛ كيف ربت الآخر على كتفيها.. وتعليقه على السجائر كان لسبب قد فهمه وهو توترها وارتباكها.. أما هذا فلم يشعر بحيرتها لحظة.

تلمع في عينها ابتسامة انطفأت منذ زمن.. أن أحدًا في هذا الكوكب يراقبها ويهتم لأمرها ويرغب أن تكون معه..

فكرة تحتاجها كل أنثى بالطبع.. بعد الزواج تتحول الزوجة لمجرد آلة.. وتنسى أنوثتها وتفقد متعة إحساس المرغوب فيه وأن يكون مرغوبًا بها بعد كل هذا العمر الذي حولها إلى قطعة أثاث أو آلة تنفذ المطلوب منها في أوقات محددة فكرة محببة لدى العديد.. والأجمل أن ذلك الشخص ذو قيمة وعلى قدرٍ من الوسامة والذكاء.. والأهم الغموض.. الغموض الذي يضفي لذة جديدة على الأشياء.

تطفئ سيجارتها الأخيرة.. وتحاول أن تهدهد جفونها لتخلد للنوم.

*****

الثانية بعد منتصف الليل.

تستلقي دنيا على أريكتها المقابلة لخزانتها تفكر فيما ستقوله لزوجها وكيف ستجد حجة قوية تدعم موقفها لتركها ابنها لدى صديقتها وكذبها عليه.

يرن هاتفها فتسرع بكتم الصوت وترد في عجل حتى لا تشعر حماتها بالاتصال.

دنيا: عمر ازيك وحشتني.

عمر: إيه مختفية ليه من أول النهار؟!

دنيا: معلش يا حبيبي؛ حماتي عندي وخايفة تعرف حاجة.

عمر: بس أنت وحشتيني وعايزك قوي.

دنيا: أنا كمان عايزاك بس خايفة حد يسمعنا.

عمر: طب يلا تعالى في حضني دلوقتي.

دنيا: مش هينفع.. مصطفى نايم جنبي.

عمر: ليه؟!

دنيا: خفت حماتي تقرره وتعرف حاجة ف خليته ينام جنبي النهاردة، دا كمان قال لأبوه إنه بات عند هدى وسبته لوحده ونزلت.

عمر: وهتعملي إيه؟!

دنيا: مش عارفة هقول له إيه، لازم ألاقي إجابة منطقية يصدقها.

عمر: مش ملاحظة إنك عاملة له حساب قوي وقاعدة تتكلمي عنه وأنا ما ليش وجود.

دنيا: مش كده، بس أنا في مشكلة حقيقي والدنيا ملخبطة.

عمر: بقولك إيه طلعي الواد برا وتعالي في حضني.

دنيا: وحماتي اللي برة؟!

عمر: شكلك بتتلككي وموحشتكيش عموما براحتك مش هتحايل عليك.

يقاطعهما دقات على باب الغرفة، فيظهر ارتباكها.

دنيا: ثواني خليك معايا... أيوة يا ماما.

سيدة: لسَّا صاحية يا دنيا؟

دنيا في ارتباك تغلق الهاتف دون حديث، وتسمح لها بالدخول.

دنيا: آه يا ماما اتفضلي.

تدخل سيدة وتجلس إلى جوارها.

سيدة: كويس إنك لسَّا صاحية كنت حابة أتكلم معاكِ وحساكي بتتهربي مني.

دنيا: ليه بتقولي كده.. اتفضلي.

سيدة: أنا عارفة إن حياتك مع خالد مش مستقرة.. وهتستقر ازاي وكل واحد في ناحية.. أي واحدة محتاجة راجلها يكون معاها.. يطبطب عليها ويشيل عنها مسئولياتها.. الراجل يا بنتي سند.. بس أنتِ عارفة الظروف وسبب سفر ابني علشان يحقق لكم المستوى اللي يليق بيكم.

دنيا: ربنا يقويه..

تقولها دنيا في تهكم غير ملحوظ فتستطرد السيدة.

سيدة: أنا يا بنتي مش غرضي أتطفل عليكِ ولا أنا موجودة هنا علشان أراقبك.. أنا بس خايفة عليكِ.

دنيا: خايفة عليا؟! ليه؟!

سيدة: خايفة حد يستغل غياب زوجك ويلعب بدماغك ويخسرك حياتك.

دنيا: ازاي يا ماما تقولي كده؟! أنت بتشكي فيا؟!

سيدة: يا بنتي اسمعيني.. أنا بكلمك زي بناتي.. أنا خايفة عليكِ مش علشان ابني بدافع عنه لا.. لكن ولاد الحرام كتير.. حطي الكلمتين دول في دماغك.. رغم إنك ما بتشوفيش ابني غير شهر في السنة لكن ابني بيحبك ويتمنالك الرضا ترضي وأمنية حياته يحقق لك كل اللي تتمنيه وزيادة.. اوعي تفتكري إني بزعل أو بغير من حبه ده.. لا دا يوم المنى ألاقي ابني فرحان ومتهني.. وياما قلت له ارجع وحط مراتك وابنك في عنيك والعيشة تتقضي لكن نقول إيه مش عايزكم تتحوجوا لحد في يوم من الأيام.. بيجي على نفسه علشان تلاقوا اللي يكفيكم بعد كده. ما تجربي أنتِ يا بنتي وروحي له عيشي معاه تاخدي بحسه وياخد بحسك وابنكم يكبر ما بينكم.. وتحسي بدفى البيت.. ويشيل معاكي.

دنيا: بس يا ماما الحياة هناك صعبة.. ومدارس ابني وأصحابه هنا.

سيدة: يا أختي المدارس والصحاب في كل حتة وابنك لسَّا صغير.. ولو على أهلك وأمك أنا حفظاها أكتر منك عمرها ما هتمانع في حاجة فيها مصلحتكم.

دنيا: ولية كل ده؟! ما احنا هنا كويسين وسط أهلنا.

سيدة: أنت مقتنعة إنك كويسة.. الست من غير راجلها زي الشجرة الدبلانة عمرها ما تكون كويسة.. والطماعين كتير يا بنتي بلاش تخربي على نفسك وتتمسكي بأوهام تضيع حياتك وابنك.. احنا يا بنتي لما بنخلف حياتنا كلها بتكون العيال وراحتهم، دي سنة الحياة.

دنيا: بس دا يبقى ظلم.

سيدة: طبعا ظلم.. بس ظلم فيه متعة ... ظلم وراه خير...

دنيا: ظلم ممتع ازاي، الظلم يبقى متعة وخير؟!

سيدة: "علشان في متع كتير مش بنحسها واحنا صغار.. الشباب جبروت ورعونة.. وقوة.. ولعب وحركة وحرية.. الشباب مغري بيخلينا فاكرين إن الحياة دائمة وإنه من غير حريتنا نموت.. وإن اللي يجي على حريتنا ظالم نكرهه ونبعده عننا.. لكن لما بنكبر ونشيب ما بنلاقيش غير اللي كنا فاكرينه ظلم هو اللي جنبنا.

أخلاقنا اللي كانت مقيدانا هي اللي خلت لنا سيرة طيبة.. عيالنا اللي طلعوا عنينا وخدوا عمرنا هم اللي شايلينّا.. راجلنا اللي كنا مش طايقينه هو الحس اللي مهون علينا الدنيا ... اللي اتزرع كله بيتحصد.

يا تحصدي حب وأمان وحنية، يا تحصدي قسوة ووحدة.. وعليكِ تختاري.

فكري في كلامي، زوجك وأولادك هم دوول اللي باقيين لك.. حاولي تحبي حياتك وتديها علشان تديكي".

تدمع عينا دنيا فتطبطب عليها حماتها وتأخذها بين أحضانها.

وتهمس بأذنيها: اسمعي أنا أكبر منك وعشت كل اللي عشتيه وحسيت كل اللي حسيتي بيه.. حافظي على بيتك وابنك.

تتركها تحت مطرقة كلماتها وتذهب..

يرن الهاتف مرات ومرات فلم تستطع دنيا أن تلبي نداءه تحت مظلة الأفكار التي هطلت على رأسها دون سابق إنذار..

كلمات جعلتها تفكر في مستقبل ابنها وما ينتظره مستقبلها..

تمسك هاتفها وتفتح أحد تطبيقات الهاتف الجوال.. وتبدأ تخط رسالة إلى عمر الذي لا يكل ولا يمل من الاتصال بها ليخلو بها.

دنيا: عمر أنا مش عارفة أرد عليك لأن حماتي قاعدة جنبي، لو سمحت بلاش تتصل عليا.. لما الوقت يسمح أكلمك أنا هتصل عليك.

حاولت أن تكون رسالتها تلك كساعة الرمل تقلبها لتنتظر ما سيهديها إليه قلبها وعقلها.. فحديث حماتها غير رؤيتها للحياة وجعلها في تيه التفكير..

هل كانت هي الظالمة؟

هل كانت بكل تلك الأنانية لا تفكر في أحد غير سعادتها؟

أهذه هي حماتها التي كانت دائمًا تمقتها وتتجنب معاملتها؟

أهذه هي من فكرت دوما أنها لا تحبها وتتعمد انتقادها؟

في لحظة تظهر كالأم الحنون التي تخاف على حياة أولادها.. تحدثها بكل سعة الصدر هذه لتفتح مجالًا لإعادة النظر في الحياة..

ترى هل كانت مخطئة أيضًا في رؤية زوجها؟

تقطع الشك باليقين وتمسك هاتفها لتتصل على زوجها فيرد في الحال.

دنيا: ازيك.. طمني عليك.

خالد: وحشتيني قوي.. كنت خايف عليكِ.

دنيا: من إيه؟!

خالد: خفت تكوني تعبانة أو فيكِ حاجة أنت أو مصطفى علشان كدا ما بترديش.

دنيا: علشان كدا بعت لي مامتك.

خالد: هي أقرب حد ليا.. وبعتها علشان تطمني عليكم.. ما كنتش حابب أعمل قلق وأكلم مامتك أو حد من إخواتك يسبب لك قلق أو يفتكروا في مشكلة بيننا.. كمان ما حبتش أبعت لك حد من إخواتي يضايقوكِ عارف إنك بتحبي تقعدي براحتك.

دنيا: بس أنت أول مرة تفهمني ليه بتبعت لي مامتك.

خالد: مش ممكن تكوني أنت اللي عمرك ما سألتِ؟

دنيا: عندك حق.

خالد: دنيا أنا بحبك قوي.. يمكن مبنقعدش مع بعض كتير لكن أنا مببطلش أفكر فيكِ.. أنت أحلى حاجة حصلت لي في حياتي.

دنيا: إيه الرومانسية دي مش متعودة عليها كان مستخبي فين كل ده؟!

خالد: يمكن أنا ما بعرفش أعبر لكن من ساعة ما نزلتوا على مصر وأنا هتجنن عليكِ.. وجودك في حياتي له طعم تاني.. البيت وأنت فيه مليان دفا.. مفتقدكم جدًّا ونفسي أخدك في حضني قوووي.

دنيا: بجد؟!

خالد: طبعا بجد هو أنا ليا في الدنيا غيركم.. أنا بعمل كل دا ليه ومتغرب علشان مين؟ مش عشانكم وعشان أجيب لكم كل اللي نفسكم فيه وما نحوجش عيالنا لحد.

دنيا: هو أنت مش هتسألني أنا رحت فين امبارح وسبت مصطفى عند هدى.

خالد: لا مش هسألك علشان عارف.

دنيا بتوتر: عارف؟! عارف إيه؟!

خالد: عارف إنك مستحملة حاجات كتير قوي وحقك تخرجي وتغيري جو لوحدك.. عارف إن العبء كبير عليكِ.. وكل اللي عايزة إني أكون مطمن عليكِ.

دنيا: يعني دي حاجة متزعلكش إني كدبت عليك؟!

خالد: طبعا زعلت.. بس قلت أكيد أنتِ خفتِ أرفض.. أنتِ لسَّا يا دنيا معرفتنيش كويس ولا عرفتِ غلاوتك عندي.

دنيا: ومش هتسألني كنت فين ومع مين؟

خالد: أنتِ كبيرة كفاية علشان تفرقي بين الغلط والصح مش هاجي أنا أقول إيه غلط وإيه صح ومظنش إنك هتعملي حاجة تسيئ ليكي ولعيلتك قبل ما تكون إساءة ليا ولابنك.

دنيا وقد علت مظاهر الندم جبينها وكسا الحزن ملامحها وحشرجت الدموع صوتها.

- عندك حق.. أنت أول مرة تتكلم معايا كده.

خالد: يمكن علشان الدنيا لاهيانا.. لكن لما نحس بالشوق والخوف على اللي بنحبهم لازم نسيب كل حاجة ونجري عليهم علشان نأكد لهم إنهم أهم حاجة في حياتنا.. وأنتِ يا دنيا كل حبايبي.. أنت الدنيا يا دنيا.

تتناغم الدموع والرقة في صوتها.

دنيا: ربنا يخليك لينا.. أنا آسفة إني مفهمتش كل دا قبل كده.. وآسفة لو عملت حاجة زعلتك بدون قصد.

خالد: ربنا يخليك أنتِ ليا لو كنت قدامي دلوقتي كنت خبيتك جوا حضني.

يرن هاتفها أثناء حديثها الحاني مع زوجها، تنظر إلى الهاتف تجده عمر، لم يستمع لحديثها وطلبها بعدم الاتصال.. فتغلق اتصاله وتستمر في حديثها الممتع مع زوجها..

تلك الكلمات التي كانت تفتقدها وتلك العذوبة التي لا يعقبها ندم أو خوف.. بل أعقبتها فرحة ورغبة لحديث لن ينقطع.

خلف الباب تقف السيدة العجوز مبتسمة.. تحمد الله على صلاح البيت.

تغلق دنيا هاتفها وتسبح في سماء الفكر..

كيف بين عشية وضحاها يتغير الحال وتظهر هي المخطئة والمذنبة.. المتسرعة التي لم تفهم طبيعة حماتها وزوجها؟

هل هي رعونة الشباب التي حدثتها عنها حماتها.. أم هي أنانية مفرطة ورغبة ملحة في الحياة والحرية؟

في كل الأحوال تؤكد لنفسها أن ما ارتكبته حماقة لا بد وأن تعالجها وتعطي فرصة لقلبها أن يستقيم ويقرر ما يريد.

يقفز في عقلها حديث صديقتها حنان.. وأنها لا بد وأن تتخذ القرار إما الانفصال والزواج بعمر.. أو أنها تغلق أبواب الشيطان وتعافر لاستمرار حياتها وتنجو بأسرتها من براثن الشهوة.

تشعر برغبتها بالحديث مع أحد يساعدها في اتخاذ القرار. ولا أحد يصلح أكثر من حنان تلك السيدة العاقلة الكتوم. دون تردد تمسك بهاتفها لتتصل بها.

دنيا: حنان معلش أزعجتك أنت نائمة.

حنان وقد أفزعها صوت الهاتف:

- خير يا دنيا في حاجة عندك؟!

دنيا: لا احنا كويسين وآسفة إني صحيتك بس كنت محتاجة أحكي معاكِ.

حنان: طب إيه رأيك نتقابل الصبح بعد ما ندخل الأولاد المدرسة.

دنيا: كدا أفضل هنتظرك ترني عليا.

حنان: ماشي يا حبيبتي.

تغلق حنان الهاتف وتنظر في الساعة تجدها الخامسة صباحًا.

تقوم لصلاة الفجر طالبة من الله أن يفرج همها ويساعدها في حل مشكلاتها.

يرتفع الأذان فتدمع عينا دنيا.. طالبة من الله الغفران والسند.

*****

تنزوي حنان بعد صلاتها تفكر ماذا ستفعل مع ذلك المدرس.. وما الموقف الأصح الذي سيساعدها وابنتها من الخروج من تحت مخالب ذلك الذئب اللعين.

*****

تشرق الشمس فتبدأ حنان بالاستعداد لروتينها اليومي.. توقظ ليلى، فترتدي ملابسها، وتتناول فطورها وتذهب مع والدها إلى المدرسة.. ثم توقظ "علي" وتساعده في ارتداء ملابسه وتناول فطوره ثم تأخذه لتذهب به إلى روضته..

تمسك بهاتفها لتتصل على دنيا التي ترد على الفور:

حنان: صباح الخير يا دنيا.

دنيا: صباح الخير.

حنان: جاهزة؟ هستناكي في كوفي شوب كومباني اللي عند المدرسة.

دنيا: خلاص تمام مسافة السكة هكون عندك.

تنطلق حنان إلى المقهى وتختار طاولة جانبية غير ملحوظة لا تزاحمها طاولات أخرى.

تطلب قهوتها من النادل.. فيأتي لها بها مع قطعة كيك الشكولا.. تشعل سيجارتها وهي ترتشف القهوة.. يخيل لها ظله في المقهى فترتبك وتبحث عن ذلك الرجل الذي يراقبها ولا يتركها في حالها هي وابنتها.. تقوم وتبحث.. تنظر هنا وهناك.. لا تجد شيئا..

تجلس واضعة يدها على جبينها خائفة وحزينة..

تأتي من خلفها يد تطبطب على كتفيها فتفزع ملتفتة إلى خلفها لتجدها دنيا.. تتنفس الصعداء وتغمض عينيها في أريحية.

دنيا: إيه ما لك اتفزعتي ليه كدة؟

حنان: لا أبدًا كنت سرحانة.

دنيا: اللي واخد بالك يتهنى بيه.

حنان بابتسامة باردة:

- خير بقى ما لك قلقتيني!

دنيا: أنا بخير.. أو لا.. مش عارفة.

حنان: اممم إيه اللخبطة دي.. احكي.

دنيا: مش عارفة أبدأ منين.. بس أنا وعمر الموضوع بتاعنا بيمشي في سكة أعمق.. هو دائمًا عايزني.. دائمًا محسسني إني أغلى حاجة عنده.. بس أنا خايفة ومش مرتاحة.. دائمًا حاسة إن في حاجة غلط.

حنان: علشان هو فعلا غلط وأنت من جواكي كويسة ف مش قابلة الغلط ده.

دنيا: بس يا حنان أنا عمري ما حسيت المشاعر دي مع أي حد غيره.

حنان: وبرضو ممكن المشاعر دي كلها تكون كذبة وهمتي نفسك بيها علشان أنت محتاجة الإحساس ده.. وهو عارف كده فقدر يستغلك لأهداف في دماغه.

دنيا: طب إيه هي الأهداف دي؟!

حنان: معرفش بالظبط بس الحاجات كتير ممكن فلوس.. مصلحة.. علاقة كاملة.. كل دوول.

دنيا: مش عارفة.. بس استحالة إحساسي دا يكون كذب.

حنان: إحساسك أنت مش كدب لأن أنتِ اللي حاسة، ف حاسة بكل الصدق اللي جواكي وكل الاحتياجات اللي عايزاها وكل الفرحة لما بتاخديها... لكن هو ما نعرفش إيه اللي جواه.

دنيا: اللي بتقوليه دا يخوف أكتر.

حنان: جربي تمنعي.

دنيا: أمنع؟!

حنان: آه امنعي.. لو بتدي فلوس امنعيها.. لو مصالح بطلي.. لو حب وعلاقة وقفي.. وشوفي هل هيتغير ولا هيفضل

جنبك.

دنيا: فعلا أنا امبارح بعت له ما يتصلش بيا وأنا اللي هبقى اتصل بيه.

حنان: طب حلو ..بس ليه؟ حاجة حصلت.

دنيا: حماتي جت قعدت معايا.. والحقيقة في الأول كنت خايفة تعرف إني بكلم حد.. لكن بعد ما اتكلمت معايا حسيت بالندم وإن اللي بعمله غلط.

حنان: اتكلمتْ معاكِ في إيه.

دنيا: إن خالد بيحبني.. وعايزاني أروح أعيش معاه وإن الست ما لهاش غير جوزها... أول مرة يا حنان من ساعة ما اتجوزت تقعد وتتكلم معايا وتكون حنينة عليا قوي كده.

حنان: طب ما دي ممكن تكون رسالة من ربنا.. إنك تراجعي نفسك وتحسني علاقتك بجوزك.

دنيا: ما دا اللي فكرت فيه وكلمت خالد امبارح.

حنان: وبعدين؟!

دنيا وقد لمعت عيناها: لأول مرة أحس الإحساس دا معاه.. قال لي كلام حلو كتير.. وقد إيه بيحبني.. تصدقي إنه ما حبش

يعرف أنا رحت فين لما خرجت وسبت مصطفى عند هدى.

حنان: طب كل دا هايل جدًّا وفعلا رسالة من ربنا إنك تحافظي على بيتك وابنك.

دنيا: بس خايفة يا حنان.. خايفة يكون عمر هو الحب اللي أندم عليه لو ضيعته.

حنان: هو مين اللي تندمي عليه! واد مقطوع مرنخ في النادي متسول لأي واحدة تبص له.. ولّا راجل بيحبك متغرب علشان يحقق لك اللي بتحلمي بيه.

دنيا: بس....

حنان: ما فيش بس، استهدي بالله وحافظي على بيتك وجوزك وبلاش تفكري في شيطان داخل يهد حياتك.

تصمت دنيا ويظهر على ملامحها الحزن والقلق فتشعر بها حنان فتستطرد:

حنان: أنا حاسة بيكي.. بس صدقيني أنا بقول لك دا علشان خايفة تضعفي وتلاقي نفسك في غلط أكبر ما تعرفيش تلميه... أقولك تعالى ننفذ اللي قلناه... نصد عمر.. نمنع عنه اللي هو عايزه.. نكلمه ك أصحاب.. أخوات... ونشوف هو هيعمل إيه... لازم نرمي الكرة في ملعبة.

دنيا: ولو فضل جنبي واتمسك بيا؟!

حنان: مع إني أشك.. بس خلينا نجرب ونشوف وساعتها نفكر هنعمل إيه، بس دلوقتي لا نتصل ولا نتكلم، ولا نخرج ولا ندي فلوس، وما فيش أكتر من الحجج اللي ممكن نعملها ونقولها.

دنيا: وخالد؟!

حنان: ما له خالد.. ما هو أبو ابنك كلميه واطمني عليه، حتى لو سبتوا بعض سيبوا بعض وانتوا على وفاق علشان ابنكم.. أظن إنه من الأفضل نكلمه حلو ونتعامل معاه بالحسنى لحد ما نشوف هنقرر إيه.

دنيا: عندك حق... هعمل كده.

يقاطع حديثهما صوت رنين هاتف حنان.

حنان وهي تنظر في الهاتف: دي هدى.. لما نشوف المجنونة دي كمان أخبارها إيه.

حنان: الو.. ازيك يا هدى أخبارك إيه.

هدى: الحمد لله شفتي صفحة النادي؟!

حنان: لا ما لها.

هدى: منزلة نعي؛ الست محاسن ماتت.

حنان: الست محاسن مين؟ لا حول ولا قوة الا بالله.

هدى: الست محاسن يا حنان أم البت اللي حكيت لك عنها.

حنان: آه، لا حول ولا قوة إلا بالله.. دي كانت لسَّا في النادي.

هدى: هو الموت له معاد... اللي صعبان عليا إنها كانت نفسها تفرح ببنتها وتطمن عليها... قوليلى هتروحي العزاء.

حنان: ماشي نروح بس أنا معرفش حد...

هدى: مش مهم أنا هعرفك بالناس وهتصل على دنيا أسألها لو هتروح.

حنان: دنيا معايا أهي بتقولك ماشي نروح.

هدى: يا سيدي يا سيدي انتوا مع بعض وأنا بنت البطة السوداء.

حنان: يا بنتي اتقابلنا صدفة اتهدي بقى.

هدى: انتوا فين كده.

حنان: في كوفي شوب كومباني اللي عند المدرسة.

هدى: امممم طيب ماشي أقابلكم في العزاء بالليل.

حنان: ماشي بس ابعتي اللوكيشن علشان معرفش المكان.

هدى: حالا.. يلا سلام.

تستقبل حنان خريطة بمكان العزاء وتشاركها ل دنيا في لحظات.

تنظر إلى دنيا نظرة حانية:

- يلا شكلك ما نمتيش من امبارح روحي نامي ونتقابل بالليل في العزاء.

دنيا: حاضر فعلا ما نمتش وحاسة إني سقطت.. كمان مش عايزة حماتي تزعل إني اتاخرت برا وسايبة لها الولد.

حنان: إيه دا ما راحش المدرسة وكمان سايباه مع حماتك؟!

دنيا: آه سبته ما أنا ما بقتش خايفة تقرره.

حنان: ربنا يهديكِ ويهدي لكِ الدنيا.. يلا قومي روحي بقى.

تودعها دنيا وترجع إلى بيتها.

تطلب حنان الفاتورة من النادل.

يقترب رجل بيده حافظة الفاتورة تأخذها حنان لكن تجد الرجل يمسكها بقوة تجعلها ترفع رأسها تجاهه استغرابًا لتجده "وليد" وقد قبض على حافظة الفاتورة مقحمًا نفسه عليها. يجلس وسط نظرات تعجبها وقلقها.

يضع الحافظة إلى جواره.. ويستريح في مجلسه ناظرًا إليها بابتسامة حانية...

وليد: وحشتيني..

يسيطر القلق وعدم الراحة على حنان ولا تعرف كيف ترد أو ماذا تفعل.

يستطرد وليد: كان شكلك حلو قوي وأنت بتدوري عليا.

تنظر إليه حنان في ذهول.. فقد أيقنت إنه بالفعل كان هنا يراقبها.. واختفى فجأة..

كيف عرف موعدها؟

كيف جاء وكيف اختفى؟

عشرات الأسئلة تقفز مشاغبة أمام عينيها.. ولا تمتلك القدرة على إيقافها أو نهرها.

تقف برجفة تلملم أغراضها وترحل وهي تفغُر فمها من هول المفاجأة دون أن تتحدث.

ينظر إليها وليد دون أن تتغير ملامحه بنفس الابتسامة الحانية التي لم تلحظها.. يطلب القهوة من النادل.. يدفع فاتورتها مضافًا عليها ما طلبه.

يرتشف رشفة من القهوة ويغادر.

*****

تركب حنان سيارتها في عجل.. وتطير بها بسرعة دموعها المتساقطة وعنفوانها الذي سبق المسافات.

تنزوي لمكان هادئ وتبطئ سيارتها وتقف لتبكي وتصرخ فهي لا تعلم ماذا تفعل..

لا تعرف إجابة عن أسئلتها التي تتلاعب بها..

لا تعلم شيئًا عن ذلك الرجل وكيف تهرب منه؟

لأول مرة تشعر بالوحدة..

تشعر بالخوف والقلق على ابنتها ونفسها ومستقبلها..

كل المعايير تتقلب داخلها..

هل يحبها فعلا؟!

هل يراها جميلة؟!

هل تستحق حبًّا مجنونًا كهذا؟!

فدائما ما كنا نتمنى حبًّا مجنونًا يعصف بنا... فلماذا نخاف إذا أتى؟!

لأول مرة يهزمها حنينها للمشاعر..

لتلك الهمسات الحانية التي تدغدغ قلبها..

تشعر باحتياجها له..

ذلك الرجل الذي هزم كبرياءها.. وأسقطها فريسة لجنونه.

هل يستحق أن يغامر الإنسان بكل ما يملك من أجل شعور خاطف بسرعة شعاع البرق الذي يضرب الأرض في أقل من لحظة ويتركها خرابًا مشتعلًا بحرائقه؟!

تمسح دموعها وتحاول أن تهدئ ثورتها لكن دون جدوى.

*****

تعود حنان إلى منزلها ساحبة حزنها وآلامها معها.. تفتح خزانتها وتختار من سود الملبس ما يتوافق مع حزن قلبها.

تجلس على كرسي مجاور لشباك يتسع على فضاء من الطبيعة الساحرة.. تشعل سيجارتها وتغوص في أفكارها تائهة.. فبداخلها رغبة ملحة في التقرب من ذلك الرجل.. وخوف شديد من الله والمجتمع الذي سيتهمها بالخيانة.. وكيف تلقب بالخائنة من أجل رجل زبد؟

خانت روحها لسنوات عندما قررت أن تعيش من دون روح أو قلب.. تعيش دون مشاعر أو حياة كانت تريدها يومًا.

لماذا يحرمنا الله من العيش كما نتمنى؟!

تصمت برهة وتستغفر الله على ما قالته.. لكن قلبها الذي ذبل منذ أمد يحاول أحدهم أن ينقذه فهل تأبى الحياة وتتركه في ذبول ليرضي المجتمع.

دموعها التي تنهمر تنسيها أمر سيجارتها فتشعل غيرها.. تتذكر طفليها.. تنظر في ساعتها، تجدها قد اقترب موعد حضورهما.

ترسل رسالة إلى زوجها..

قد تخبئ الكلمات ما لم يستطع أن يخفيه الصوت.

حنان: مساء الخير.. أنا في البيت مش هقدر أجيب "علي" من الحضانة.. هاته في طريقك وأنت جاي.

تقوم متباطئة إلى المطبخ لتحضر بعض الطعام السريع.

تحاول أن تخفي ما بعينيها من ألم.

تحضر السفرة على عجل.

وتدخل لتأخذ حمامًا من الماء الدافئ لعله يهدئ من روعها فتختلط دموعها بالماء تحت الصنبور، تمسح عنها وجهها وتستكين تحت الماء.

يصل طفلاها بضجيجهما الذي لا ينتهي.. تسمعهما فتهم بالخروج إليهما وتستقبلهما بين أحضانها.

علي: اتاخرتي عليا ليه يا ماما كنت هعيط.

حنان: تعبت شوية وبابا راح لك على طول.

ليلى: هو أنتِ كنت بتعيطي.

حنان: لا يا قلبي هعيط ليه كنت باخد شاور.. هو بابا فين؟

ليلى: طلّعنا ونزل، عنده شغل.

تحمد الله في سرها.. فلا تريد أن تقابله أو تنظر إليه.

ليلى: مستر وليد النهاردة كان مبسوط مني وخلا الفصل كله يصقف لى.

تدرك حنان إنه علم حيرتها.. وعلم ما بها فحاول أن يفك الضغط على ابنتها.. أو يجعل لنفسه مكانًا للحديث طوال الوقت حتى داخل البيت.. إنه يعلم كيف يظل حاضرًا.

لم تكترث فيما قالته عنه ابنتها.. وساعدتهما في تغيير ملابسهما وتناول غدائهما دون حديث.

بصمت استشعره الأطفال فباتوا يلاحقونها بالأسئلة لعلها تجيب.

فهمست الأم أنها حزينة لوفاة أحد معارفها ولا بد من أن ينتهوا من غدائهم ليذهبوا جميعا لجدتهما إلى أن تنتهي مراسم العزاء.

تركتهما ودخلت حجرتها وارتدت السواد.. ثم خرجت تلملم ما تبقى من السفرة.. وتلملم ما ستأخذه وهي ذاهبة إلى والدتها.

أخذت كل شيء قد تحتاجه وأبناؤها وخرجت متجهة إلى والدتها.

وقفت أمام بيت والدتها وطلبت من الأولاد الصعود لتأخرها عن الموعد. لم تكن متأخرة ولكنها فضلت أن تتجنب النظر في عيني والدتها حتى لا تنفجر في البكاء فينكشف أمرها.

أي أمر تخاف أن ينكشف؟!

رجل يطاردها ولا تدري كيف تتخلص منه.. هذه هي الحقيقة التي تحاول أن تخفيها.. أم أنها خائفة من حقيقة أشد ألمًا وأنها من داخلها قد انجزبت دون أن تشعر لذلك الشخص.. فباتت خائفة من لوم الناس أو أن يكشف أحدٌ حقيقة ما تخفيه؟!

وهل يمكن أن ينجذب أحد لأحد بهذه السرعة أم طريقته هي التي لفتت انتباهها وغلبتها.

يصعد الأولاد وتشاور إليها أمها من أعلى باستلامهما.

فتدير سيارتها وتهرب على عجل.

*****

تستيقظ دنيا على صوت هاتفها الذي يرن جوراها مرات ومرات..

إنه عمر يحاول الاتصال بها.. وتتباطأ رغبتها في الحديث معه فتغلق هاتفها النقال؛ عملًا بما قد قررته مع صديقتها.

تعود إلى النوم برهة فيوقظها ابنها وفي يده هاتفه النقال.

مصطفى: ماما.. ماما...

تنظر إليه في كسل.

مصطفى: بابا كان عايز يكلمك.

يعطيها الهاتف ويغادر حجرتها فترد في نعومة ورقة.

دنيا: ألووو.. ازيك يا خالد.

خالد: إيه النوم دا كله.

دنيا: كنت سهرانة طول الليل ف قلت أنام شوية.

خالد: كانت أحلى سهرة.

دنيا بابتسامة مراوغة: ليه أنت كنت معايا؟

خالد: طول الوقت معاكِ وجنبك. ما تتاخري شوية خديني جنبك.

دنيا وهي تضحك: لا والنبي.. شكلك رايق.. تعالَ السرير واسع.

خالد: بس أنا عايز الحتة اللي جنب حضنك مش السرير كله.

يضيء وجه دنيا فرحًا.. أمسكت خصلات شعرها لتشعر بأنوثتها.. وتغرق في الحديث معه.

*****

تقف هدى في المطبخ؛ تحضر الطعام لزوجها وابنها، تستمع للراديو في أحد البرامج الشبابية التي تستقبل المكالمات من المستمعين.

أحدهم يضحك.. والآخر يحكي ما يشعر به تجاه زوجته.. وأخرى تشتكي من مشكلات المرور.

وهي تنصت.. تستمع وتضحك وتعلق عليهم بصوت مسموع.

*****

الساعة السادسة مساءً.

تجلس حنان في أحد المقاهي المتطرفة ترتدي نظارتها السوداء وتسدل شعرها على وجهها حتى لا يعرفها أحد.. تشرب قهوتها وتشعل سيجارتها.

يرن جرس الهاتف.. تجدها دنيا.

دنيا: مساء الخير.. هتروحي العزاء فعلًا؟

حنان: آه أنا نزلت وقريبة من المكان.. هبعت لك لوكيشن تعالى عليا لو هتروحي.

دنيا: طب هايل هلبس وأجيلك.

حنان: يا ريت تقولي ل هدى كمان.

دنيا: خلاص تمام.. سلام.

حنان: سلام.

تغلق هاتفها وتعود إلى حيث كانت.. تتطلع في وجوه من حولها لعلها تجده.. لكن تتذكر كلماته فهو الحاضر دائمًا الذي يراقبها في صمت.. فتنظر إلى دخان سيجارتها مخرجة بعض الأوراق لتحاول أن تجعل من هيئتها هيئة وقورة مشغولة، لكنها في الحقيقة لا تعرف ما يحتويه الورق الذي بيدها.

تمر الدقائق سريعًا وتدق الساعة معلنة السابعة.. ترفع رأسها لتجده أمامها منتصبًا بكامل أناقته.

تتعرق من خجلها.. لأول مرة تعطيه فرصة للجلوس معها.

فيطلب منها الجلوس.. فتوافق على الفور.. يستشعر رغبتها في سؤاله.. وربما يستشعر الحزن في عينها.. يلاحقها بالسؤال ليكسر فضولها.

وليد: مستغربة إني هنا.

حنان: بصراحة جدًّا ومش عارفة أنت بتلاقي وقت منين تلاحقني وتراقبني.

وليد: لو موفرناش الوقت الكافي للي بنحبهم يبقى ما نستاهلش حبهم.

حنان: بس أنا لسَّا مش مقتنعة بالحب ده.

وليد: مجرد إنك قلتيه يبقى بدأتي تفكري فيه.

حنان: هو إيه؟

وليد: الحب.

حنان :إحنا مش من حقنا الحب.. لا عمرنا ولا مجتمعنا هيوافقوا على المشاعر دي.

وليد: وإيه دخل المجتمع في حياتنا وقراراتنا.. والعمر إمتى كان أيام.

حنان: إحنا مش عايشين في الدنيا لوحدنا.

وليد: وهو في أصعب من إنه برغم كل الموجودين تعيشي الوحدة.. الوحدة هي وحدة الروح.

حنان في حزن وكسرة عين:

- أولادي؟! بيتي؟! عيلتي؟!

وليد وهو يربت على يدها:

- حياتك.. شبابك.. سعادتك. لحد إمتى هتفكري في غيرك.

حنان -وقد سحبت يدها من تحت يديه مرتبكة-:

- لو عشنا لنفسنا بس هنكون أنانيين.

وليد ضاربًا بكل الأعراف والقوانين والكلمات عرض الحائط:

- حنان، أنا بحبك.. الحب مش أنانية.. الحب إني آخدك من أنانية شخص مش مقدرك.. مش حاسس بيكي.. لدفا أنت محتجاه.. الأنانية إني أدور على مصلحتي بس.. على أكلي.. شربي.. عيالي.. وأنسى أدور عليكِ.

حنان وقد احتد صوتها:

- مش أنانية إني أفكر في سعادتي وأنسى عيالي.

وليد: عيالك هيكبروا وهينسوكي.. هينشغلوا بحياتهم وأصحابهم وأنتِ هتفضلي لوحدك.. اوعي تفتكري إن وحدتك دي هتختفي بكرة.. أو مشاعرك اللي ذبلت هترجع تورد مع واحد موتها ومعتناش بيها.. اللي بيدبل بينشف ويتكسر ويموت.. بيبقى تراب.

حنان: ما الموت هو الحقيقة الوحيدة اللي في حياتنا.. في كل الأحوال هنموت.. أموت بكرامتي وسط أهلي وأولادي.

وليد: تقصدي تموّتي نفسك ودا انتحار.. وربنا منعنا ننتحر...

تصمت سارحة بكلماته التي يتقنها ويراوغها بها.. ولكن يقطع صمتها سؤال خطر ببالها.

حنان: طب لو قلت لك إني محتاجة كل الكلام دا وإني موافقة عليه.. إيه نهاية المشوار.. عايز مني إيه؟

يعتدل وليد في جلسته مبتسما وكأنه انتصر وأخرج على شفتيها ما يريد سماعه. وقبل أن يرد على سؤالها يقطع حديثهما صوتٌ عالٍ يقترب منهما.

إنها هدى قد أتت محدقة في مجلسها.

هدى: يا دنيا، حنان أهي خلاص شفتها.. إيه دا دي معاها حد.

تقترب هدى بنظرة أكثر استغرابًا

- مستر وليد.. ازيك يا مستر وإيه أخبارك والمدام والأولاد.

يرتبك وليد قليلًا، يمد يده للسلام عليها:

- أهلًا مدام.. بخير الحمد لله.

تقترب دنيا من حنان تهمس في أذنها.

- مش كنت تقولي لي إن معاكِ حد كنا اتأخرنا شوية.

تنظر حنان إلى كل ما يحدث أمامها في ذهول دون أن ترد.

يستأذن وليد في الرحيل.. فتأذن له هدى.. وتجلس مكانه ناظرة إلى حنان التي شعرت بالفصول الأربعة في لحظة واحدة.

هدى: إيه يا مُزة؟ موعد غرامي دا ولا إيه؟

دنيا: غرامي إيه بس يا هدى؟ أنت مش شايفة منظرها؟

هدى: أصل إيه يجيب وليد هنا دلوقتي؟

دنيا: أكيد كان هنا صدفة.. ولقى حنان قال يسلم عليها.

حنان: بالظبط، صدفة.

هدى: أقص شعري وأمشي قرعة لو كنت مصدقة الكلام ده، حنان، وليد حكاياته كتير وياما مراته شكت لي منه.

تستمع إليها حنان في إنصات وتتكسر بكلماتها أبراج عالية قد بنتها أو حاولت بناءها.

حنان: شكت لك منه ازاي؟

هدى: من الآخر وليد راجل بصباص.. نسوانجي.. ياما ميل دماغ حريم.. ياما خرب بيوت.

دنيا: اهدي يا هدى.. حنان عاقلة مش هتعمل كده.

حنان: اسمعوا يا بنات أنا أكيد محتاجة مساعدتكم.

دنيا: طبعًا يا حبيبتي إحنا جنبك.

هدى: مش قلت لك الموضوع فيه إنّ.

تنادي دنيا على النادل وهي تغمز ل هدى أن تهدأ وتصمت لنعرف ما ب حنان.

يأتي النادل فتطلب منه دنيا عصير ليمون لهن.

تأخذ من أمام حنان علبة سجائرها تزجها في شنطتها.

دنيا: كفاية سجائر كده.

تومئ لها حنان بالموافقة.

هدى: احكي بقى في إيه.

حنان: الموضوع بدأ لما مصطفى قال لي إن البنت مش كويسة في المدرسة ولازم أقابل المدرس بتاعها.

هدى: أيوة فاكرة.. ومحكتيش إيه اللي حصل بعدها.

حنان: اللي حصل إني قابلت وليد ووجدته بيقول لي إنه بيحبني وعمل كدا في البنت علشان آجي ويتكلم معايا.

هدى: نهار أبوه أسود.. دا لازم اتجنن.

حنان: من ساعتها أي مكان بروحه ألاقيه فيه.. ولما قلت ل مصطفى اتريق عليا وقال لي هيمشي معاكِ على إيه.

دنيا وقد تأففت من تعليق مصطفى:

- تؤتؤتؤتؤ.

هدى: ابن كلب حقير...

حنان: من ساعتها وأنا مش عارفة أتصرف.. قلت أنقل البنت من الفصل رفضوا.. قلت أسجل له وأحبسه اكتشف التسجيل ومسحه.. والنهاردة جيت استناكم لقيته في وشي.

دنيا: وأنت حبتيه.

تنظر إليها حنان في حيرة فتقطع حيرتها هدى.

- تحب فيه إيه المعفن.. دا ربنا بعتنا ليكي نجدة.. ووليد سيبهولي بقى مش هو عامل فيها دكر وداير يعلق النسوان.. أنا هعرفك مقامه.

حنان: بس أنا ما ليش في الشوشرة.

هدى: يا حبيبتي اللي عايز يفضحك افضحيه.. افرضي حد غيرنا دخل وشافك معاه كان هيقول إيه.. هو ما عملش خاطر لشكلك ومقامك ومكانتك.. جاي لك بالحنجل والمنجل عايز يخرب بيتك.. نسكت له ازاي. اوعي تخافي.

يشتد عضد حنان وينقلب مزاجها وتشعر بقوة قد تخللت شراينها.

دنيا: بس يا هدى استني نشوف حنان عايزة إيه.

هدى: من غير ما أعرف.. حنان لو كانت مع أي راجل غير الزفت دا كنت قعدت واتكلمت وفهمت لكن دا... استحالة.. دا أختي وصحبتي مرضاش لها الخازوق ده.

دنيا: للدرجة دي.

هدى: أيوا للدرجة دي.. مش أنت ماشية مع الكابتن عمر.. متكلمتش.. منطقتش قلت بكرة تعقل وتعرف من نفسها إنه ما ينفعش.. سلطت عليكِ حنان علشان تعقلك علشان عارفة إنها أقرب لك.

دنيا تحاول أن تسكتها:

- يا ابنتي اسكتي.. إيه ماشية معاه ده؟

هدى: أيوة يا أختي ماشية معاه، أنتِ هتستهبليني؟ ويوم ما ركبتي لي مصطفى كنتِ معاه.. هو أنا هبلة.. بس عمر دا ولا حاجة دا عيل أهبل.

حنان :طب ما تفهميني إيه الفرق بينهم ما الاتنين نفس القصة يعتبر.

هدى: لا مش نفس القصة؛ عمر عيل أهبل آخره يقلّبها في قرشين.. بوسة.. ولو هي هبلة هتقضي معاه ليلة وخلص الموضوع، أما وليد دا شيخ منصر.. هيفضل يزن عليكِ وتسيبي بيتك وحياتك ودنيتك ويقنعك تغلطي معاه.. مش بس كده؛ هتغلطي وأنت مبسوطة إنك معاه.

دنيا: إيه الجديد ما كلهم كده؟

هدى: لا الجديد أن الأفندي حقير ما عندوش أي مانع إنه يصورها معاه في حضنه ويبتزها بالتصوير ده.

تُصدم حنان وتنظر إلى دنيا.

حنان: معقول؟

دنيا: يا خبر!

هدى: أيوة للدرجة دي أمال قام غار ليه لما شافني.

دنيا: وأنت عرفتِ منين كل ده؟

تربت دنيا على يد حنان الذي تلونت وجهتها بالحمرة والخوف والقلق.. والكره أيضًا.

هدى: مراته أعرفها ياما حكت لي بلاويه...

تنظر دنيا في ساعتها لتجدها الثامنة.. تطلب منهما الرحيل لعزاء السيدة ثم إيجاد طريقة للإيقاع ب وليد وتلقينه درسًا.

تتخشب قدما حنان فلا تستطيع الوقوف. في حين تؤازرها دنيا وسط سخط هدى.

دنيا: اركبوا معايا كلكم.. مش هتعرفي تسوقي يا حنان كده.

تقترب دنيا من منزل السيدة.. فتلمح حنان سيارة زوجها بالقرب منه.. لا تلقي بالًا لهذا.. فما بها يكفي.

يصعدن السلم في اتجاه منزل السيدة المتوفاه.. يعلو صوت القرآن ويطيب نفوس المهمومين فترتاح لصوته حنان...

تقترب هدى من فتاة عشرينية تلقي عليها السلام والمواساة.. تعرفها بحنان ودنيا.. فترمق الفتاةُ حنان نظرة

عدائية وغيرة لم تفهمها حنان.

تعود هدى إلى جوار صديقاتها تجلس مراقبة كل ما يحدث.

بينما تنصت حنان إلى عذوبة القرآن.. وتشد دنيا على يدها.

تتوجه الفتاة نحو الباب متحدثة مع أحدهم... تلتفت إليها هدى لتجده مصطفى زوج حنان.. تقوم وكأنها تتنقل بين الحضور تسلم عليهم لتقترب من الباب لتسمع ما يدور وما علاقة الفتاة بمصطفى.

تسمع همسات بين مصطفى والفتاة.

مصطفى: هو إيه اللي جاب حنان هنا؟

هيام: جت مع اللي ما تتسماش هدى.. بعدين أنت خائف ليه... أظن إن أنت كدا عارف إني بقيت لوحدي.. ما ينفعش تسيبني وتبعد عني.

مصطفى: ملهوش لازمة الكلام دا دلوقتي.. خليني أطمن عليكِ وتمر الأيام دي وبعدها نتكلم.

هيام: أمي ماتت مقهورة عليا... ومقدرتش تستحمل إني بحب واحد متجوز وعنده عيال وكمان على علاقة بيه.

مصطفى: أنتِ مجنونة؛ في حد يتكلم في الكلام دا مع أمه؟

هيام: كان لازم أقول علشان تحل عني وطلبها للجواز وحكيها لكل من هب ودب إنه يشوف لي عريس.

مصطفى: ادخلي دلوقتي علشان الناس مش عايز فضايح.. بعدين نتكلم.

تعود هدى لتجلس جوار صديقاتها وقد أدركت خيانة مصطفى لصديقتها. تقول في سرها كما كانت تعلق على مستمعي الراديو: "عزا إيه المهبب ده.. هي الست ماتت وخدت الستر معاها".

تسمعها دنيا.. فتهمس في أذن هدى:

- في إيه؟!

هدى: هحكيلك لما ننزل.. ما تيجوا نقوم.

دنيا: يلا...

تشد يد حنان معلنة المغادرة.

تقوم هدى وخلفها دنيا وحنان.

تقترب من مجلس الفتاة.

هدى: البقاء لله يا هيام ... ربنا يجعلها آخر الأحزان.. أمك موصياني عليكِ لو احتاجتِ حاجة عرفيني.

ترمقها هيام بنظرة استهجان مومئة بموافقة كاذبة.

تسلم على البقية في سرعة.. وتعيد على حنان نظرتها العدائية.

تتعجب حنان من نظرتها لكن دون اكتراث أو أي اهتمام.

تأخذ هدى دنيا في أحد الأرجاء منتظرة هبوط حنان تروي لها ما اكتشفته من علاقة الفتاة بزوج حنان.

دنيا: علشان كدا البت ما نزلتش عينها من على حنان.. مسكينة حنان هتلاقيها منين ولا منين.

هدى: أنا مش فارق معايا مصطفى دلوقتي.. لازم نخرجها بس من تحت رحمة الكلب التاني.

دنيا: عندك حق.

تقترب حنان في حزن: بتنموا على مين؟

هدى: بنفكر في طريقة تخلصك من وليد زفت.

حنان: أنا هبلغ البوليس.

هدى: وهو البوليس هيحل ولا هيربط.. إحنا نقول ل مراته هي مكتباه إيصالات أمانة وشيكات وكل ما يلعب بديله تطلعهم له.

دنيا: قادرة.

هدى: طبعا من أعمالكم سلطت عليكم.. يستاهل.

دنيا: طب هنروح لها ولا هنعمل إيه؟!

هدى: لا نروح لها ولا تجيلنا... هو تليفون مني ليها أقول لها الحلو وقع في المصيدة.

دنيا: ودا مش هيسبب شوشرة ل حنان؟ لتفتكر إنها مصاحباه.

هدى: لا مش هعرفها مين.. بس شطارة حنان متدلوش وش من النهاردة ولا تسمح له يقعد معاها.

حنان: بسيطة، بس كدا هيرجع يستقصد البنت في المدرسة.

هدى: لا سيبي المدرسة دي عليا.. احنا نروح ب شيك تبرعات.. ونطلب نقل البنت هتتنقل... وأنا المرة دي هفهم إدارة المدرسة كل حاجة... ما ينفعش يبقى في المدرسة حد زيه.

دنيا: لو على الفلوس مقدور عليها.

حنان: حقيقي... بس هتفهميهم ازاي.

هدى: هنعمل شكاوي يا ماما ونقابل صاحب المدرسة نفسه.. هو احنا بندفع قليل.. مش هنسيبه.

تبتسم حنان وتطمئن.. تشعر في لحظة أنها وجدت ضالتها وأن ما تخاف منه سيزول بعد أيام.

تمسك هدى بهاتفها وتتصل على زوجة وليد.. وتروي لها ما حدث وتستمع منها مشكلاته وكيف أنهى علاقته السابقة.. تسمع حنان كل هذا وتتخللها مشاعر البغض والصدمة مخلوطة بالراحة لمساعدة هدى لها.

تغلق مع السيدة التي وعدتها بالتصرف في الأمر.

تطلب من حنان تجهيز المبلغ غدًا للذهاب إلى المدرسة.

فتومئ حنان بالموافقة.

يصلا حيث مكان سيارة حنان.

تنزل في عجل تركب سيارتها وتلوح لها دنيا.. وتسير مع هدى.

ما إن مسكت حنان عجلة القيادة لم تستطع تحمل قواها وانهمرت في البكاء.

كيف لها أن تمر بكل هذا في أيام معدودات..

تتزين الحياة بثوب عروس وتختالنا بدم بارد وتلبسنا ثوب الحزن.

تستشعر رغبتها في احتضان أمها..

تدير السيارة متجهة لبيت أمها وتقرر بيات ليلتها بين أحضانها لتفكر بهدوء في قرار الطلاق من زوجها الذي خذلها ولم تجد معه ما كانت تتمناه من حبٍّ وسعادة.

*****

تقود دنيا سيارتها وإلى جوارها هدى.

دنيا: ما كنتش أعرف إنك جدعة قوي كده.

هدى: علشان ما بتشوفيش لا مؤاخذة.

دنيا: ما هو لسانك دا اللي موديكي في داهية.

هدى: أنتِ يعني فاكرة إني أشوف حد من أصحابي هيغرق وأسيبه.. يا دنيا أنا كنت بنغصك بالكلام علشان تفوقي لنفسك وتسيبي الواد السرسجي اللي كنت هتغلطي غلطة عمرك لو كنتِ هديتِ بيتك عشانه. ودلوقتي حنان واللي كانت هتتجر فيه.

دنيا: وأنت بتعرفي منين كل ده؟!

هدى: من الدنيا.. أنا طول الوقت بسمع دا وأشوف ده.. ومين اتصرف ازاي.. علاقتنا بالناس بتدينا خبرة نقدر نستفيد منها.. أمال اقعد زي الهبلة وأعمل فيها بنت باشا وما ليش علاقة بحد وأدب على بوزي.

دنيا: واحنا بقى ولاد الباشا؟

هدى: مش قوي بس ما بتحبوش تعرفوا حد.

دنيا: بس قوليلى هنقول ل حنان على جوزها؟

هدى: جوزها دا حكايته حكاية.. يا ترى إيه علاقته بالبنت دي بالظبط.. أنا مش برتاح للبنت دي أبدًا.. بس اللي أنا متأكدة منه إني مش هقدر أقول لحنان على الموضوع ده.. هي مش ناقصة.

دنيا: ولا أنا ارتحت لها.. شفتي كانت بتبص لنا ازاي.. كأننا سارقين جوزها.

هدى: بنت قادرة موتت أمها بحسرتها عليها.

دنيا: لا حول ولا قوة إلا بالله.. بس تفتكري صح إننا منقلهاش؟!

هدى: أيوة، بلاش نساعدها تخرب بيتها.. قوليلى بقى أنت ناوية تكملي في الهبل بتاعك أنت وعمر؟ يا بنتي دا عيل نسوانجي وعايش على فلوس الحريم.

دنيا :هو حاكيلي كل غرامياته.. بس الحقيقة بعد اللي شفته النهاردة خفت أكتر.. أنا مش ناقصة وجع.

هدى: غرامياته؟! يا بجاحته.. يا أختي أنا مش عارفة الرجالة معتبرة علاقاتها إنجاز بيفتخروا بيه على إيه.. دا قلة أدب ودليل على تدني مستواه. أي حد ما لوش شغلانة قادر ينجح فيها.. يروح يحكي هو ازاي عظيم في ممارسة الجنس.. ما الحيوانات

بيمارسوه عادي. حتى الشغالة من دوول تطلبها تنظف لك الخميس ترفض وتتمنع وتضحك إن كل الأيام إلا الخميس.. كأن الخميس هو اليوم العالمي لممارسة الجنس في الأسبوع.. وإن لو متعملش فيه حاجة يبقى نظام الكون اتقلب.. وتلاقيها لا بتعمل حاجة ولا تتبسط.. وادي الراجل فرحان قوي بعلاقاته. قلة أدب وفشخرة بالكدب... هالة بيعملوها حواليهم علشان يبان إنهم جامدين.. ونقص بيداروه ورا الكلام ده.

دنيا: تصدقي عندك حق.. بس أنا فعلا اتعقدت ومبقتش عايزة أكمل...

هدى: ربنا يكمل لك بعقلك.. أنتِ لو جدعة تسافري تقعدي على نفس جوزك تعفّيه وتعفي نفسك من الغلط.

دنيا: حماتي كمان نصحتني ب كده.. والله شكلي هعمل دا فعلا.. أنا غيرت عليه وخفت يتجوز عليا أو يعرف واحدة لما لقيت مصطفى عمل كده.

هدى: جوزك بيحبك...

دنيا: ما مصطفى بيحب حنان!

هدى: بيحبها بس وصل الأمر بينهم لأزمة منتصف العمر.. يعني هي مهتمة أكتر بشغلها وولادها... وهو حس إنه بيكبر

وروتين يومي مبيتغيرش.. إيه اللي يجدد حياته غير إنه يلاقي بنوتة جديدة في حياته... فالحقي بيتك وجوزك واتعلمي تتخطي كل ده.

دنيا: وأنتِ بقى يا هدى.. علاقتك إيه مع جوزك.. يعني ازاي عارفة كل دا وبتتخطيه.

تصمت هدى برهة ثم ترد في أسى:

- جوزي أحسن إنسان في الدنيا.. بس عيبه الوحيد إنه صامت ... على طول ساكت.. معرفش دا زهق مني.. ولا هو طبعه كده.. بس دايمًا بحس إني في مكان وهو في مكان تاني خالص.

دنيا: وقادرة تعيشي كده؟!

هدى: هو أحسن من غيره.. ومن كتر ما بسمع بكتشف إن الرجالة كلهم زي بعض.. علشان كدا لو انفصلت هعمل إيه.. هروح لواحد يمكن زيه أو أسوأ.. خليني مع اللي اتعودت عليه.. هو أحسن من غيره.

دنيا: بس أنتِ شايفة إن دي عيشة؟

هدى: وأحلى عيشة.. باكل وبشرب.. وبصرف.. براحتي.. والواد لو غلط بيلاقي اللي يرده.

دنيا: ربنا يديم عليك الرضا.. بس ما بتحنيش للحب.

هدى: "الحب دا بتاع العيال الخايبة اللي عايزة توجع قلبها عالفاضي.. مين هيبص لي في سني ده.. ولا هيستحمل ابني.. وهو مين هتتحمله زيي.. في حاجات أهم من الحب.

المودة والرحمة أهم ميت مرة من الحب....

أما بقى الرغي والهزار والدلع مرة في العمر تكفي".

دنيا: مرة في العمر؟!

هدى: آه مرة.. مرتين.. المهم تكون في ذكرى حلوة.. تكون في حاجة تعيشي عليها زي ما بنفتكر حب أهلنا لنا.. والناس اللي غابت.. والناس اللي معانا.. ذكرى تخلق أمل إن ممكن بكرة نفرح زي زمان.

دنيا: ربنا يكملك بعقلك.

هدى: يا رب ويهديكم يا رب.

تصل دنيا أمام منزل هدى.

تنزل هدى وتودعها دنيا التي تفتح هاتفها.. لتجد رسالة من عمر.

عمر: أنت مش بتردي عليا ومنفضالي ليه؟ كل دا مشغولة يعني.. ربنا يقويكِ.

تشعر بالاختناق.. فرغبتها بالحديث معه تتوارى خلف خوفها مما قد يحدث..

تترك الهاتف لحظات فتجد اتصالًا من زوجها فتسرع بالرد عليه.

خالد: طمنيني عليكِ.. تليفونك مقفول بقاله كتير.

دنيا: آسفة يا حبيبي كنت في العزاء.. خالد هو أنت ممكن تحب وتتجوز عليا.

خالد: مش لما أعرف اتجوزك الأول...

يضحك وتضحك دنيا.

دنيا: لا بجد.. أنت ممكن تتجوز عليا؟

خالد: وليه اتجوز عليكِ.. أنا بستنى الوقت اللي تيجي فيه علشان بحبك.. مش محتاج ألاقي واحدة تانية.. لأن الموضوع مش ملء فراغ وخلاص.

دنيا: أنا بفكر آجي اقعد معاك على طول.

خالد: يا ريت بس أنا ياما طلبت دا بس أنت مش عايزة تسيبي مامتك.

دنيا: ما هو أنا مش عايزة أسيب ماما فعلا.. لكن برضو مش عايزة أسيبك لوحدك.

خالد: أنا أمي دعت لي ولا إيه.. فكري براحتك.. وخدي قرارك.. ولو استقريتي إنك تيجي عرفيني أعمل لك الورق.

دنيا: خلاص ماشي.. ربنا يعمل الخير.

تغلق هاتفها لتجد نفسها بالشارع الذي أنزوت به مع عمر وذاقت به من شهده ما لن تذقه من قبل...

تسترجع ذاكرتها..

تحن لإحساسها معه.. وفي لحظات تلمحه بسيارة وجواره امراة أربعينية تقود السيارة.. يمزحان ويضحكان.

تُدهش مما رأت.. فتحاول الاتصال به لكن دون جدوى.. ففي البداية أغلق اتصالها، وبإعادتها للاتصال أغلق هاتفه.

سكنت وفهمت إنه مثلما قالت عنه صديقتها.. يشبع احتياجاته المادية من مصاحبته للسيدات.

تشعر بقشعريرة يملؤها الاشمئزاز انتابت جسدها..

تذكرت لعابه الذي تناولته في وجبة دسمة.. فلم تستصِغه وتملكها شعور بالقيء.. لم تسترح منه إلا وقد فتحت باب سيارتها وأخذت تخرج كل ما في بطنها وكأنها تخرج ما استشعرته من لذة معه.

مسحت شفتيها بمنديل كما لو كانت تزيل ما تبقى من لعابه.

تقود سيارتها متجهة إلى منزل والدتها.

فقد قررت استشاراتها في أمر سفرها للعيش مع زوجها.

*****

تعود هدى إلى المنزل لتجد زوجها وابنها يشاهدان التلفاز.

زوجها: اتاخرتِ قووووووي ليه كده؟ البيت وحش من غيرك.

تنظر إليه في فرحة عارمة تخللت وجدانها..

لم تجد كلمات تسعف فرحتها وترد بها عليه..

لم تشعر بنفسها إلا وهي تجري تجاهه تأخذه بين أحضانها.. تختبئ بداخله...

فيضحك الرجل.

زوجها: في إيه يا ولية أنت اتجننتي؟

ويضحك الولد.

وتبتسم وهي تشعر بيديه تطوقها وقلبه الحاني يحتويها.. تدرك أن هناك أشياء لا تستطيع الكلمات شرحها أو توضيحها...

إنها المودة، والرحمة التي تتحول بين لحظة وأخرى إلى حبّ.. حب عميق لا يمكن تجاوزه..

النهايات ما هي إلا بدايات لأحداث جديدة

إلى اللقاء في الجزء الثاني إن شاء الله

منة الله رأفت

السيرة الذاتية للكاتبة

- ❖ منة الله رأفت
- ❖ كاتبة مصرية وباحثة أنثروبولوجية
- ❖ مواليد محافظة القاهرة عام ١٩٨٥
- ❖ حصلت على ليسانس آداب اجتماع وأنثروبولوجي من كلية البنات جامعة عين شمس عام ٢٠٠٧م
- ❖ التحقت بالعمل الصحفي وتقلدت عدة مناصب في عدد من الجرائد والمجلات.
- ❖ حصلت على الماجستير في الأنثروبولوجيا عام ٢٠١٢م.
- ❖ مؤسس ومدير دار زحمة كُتاب للنشر
- ❖ من أعمالها الأدبية:

✓ أحلام إبليس، رواية صدرت عن دار اكتب عام ٢٠١١م.

✓ اليوتيوب قناة إعلامية حرة تؤثر في المجتمع، دراسة اجتماعية عن دار المصرية ٢٠١٢ م.

✓ مراوغة، رواية عن دار العلوم عام ٢٠١٤م.

✓ استربتيز، رواية عن دار زحمة كتاب عام ٢٠١٦م.

✓ سواسية، رواية عن دار زحمة كتاب للنشر عام ٢٠١٧م.

*****